من التراث التاريخي ١



تاريخ البربر

المعروف بمفاخر البربر

لمجهول

(ت ٧١٢هـ)

...م وتحقيق وتعليق: د. محمد زينهم

تاريخ البريد

الـكـتـاب : تاريخ البربر
المـؤلـف : مجهول
تحقيق وتعليق : د. محمد زينهم
الـنـاشـر : جهاد للنشر والتوزيع
☎. ٣٥٦٤٧٨٣
المدير المسئول : محمد نوار
الإخراج الفني : زينب طيبي
الـطـبـعـة : الأولى ١٩٩٨

تاريخ البربر

المعروف بمفاخر البربر

لمجهول (ت ٧١٢هـ)

تقديم وتحقيق وتعليق:

د. محمد زينهم محمد عزب



أهداء

أهدى هذا العمل لأستاذى ومعلمى المرحوم الأستاذ الدكتورحسين مؤنس مؤسس المدرسة الأندلسية المغربية رحمة الله واسعة وأدخله فسيح جنته.

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه ومن تبع الهدى وبعد.

فهذا تاريخ جامع للبربر من قبيل الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن السادس والسابع الهجرى سواء فى المغرب أو الأندلس. وقد عانيت دراسة هذا التاريخ وشرعت فى إصدار هذا العمل الصغير الجامع، فإن الشعب المغربى شعب واحد نشأ عن جنس واحد هو شعب البربر العريق بقبائله وفروعه، وقد ظل هذا الشعب قبائل متفرقة لايرتبطها رابط حتى جاء الإسلام فربط بين شعوبه، وأقبل عليه البربر، ويشعروا بفضله بوحدة شعبهم ثم شيئاً فشيئاً حتى تمت عملية التغريب بفضل الغارة الهلالية من منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى .

وفى الحقيقة كانت دولة بنى زيرى بن مناد بفرعيها أول تجربة للبربر المستغربة فى الحكم وإقامة الدول فهى جديرة منا حيث حافظوا على شكليات الولاء الفاطميين.

وقد حرصت كل الحرص على أصدار هذا العمل بشكل جديد خدمة فى إظهار مدى أهمية الدراسات المغربية على مر العصور حتى عصر المرابطين والموحدين. وأسال الله على العون والمغفرة

يا أرحم الراحمين والله ولى التوفيق.

القاهرة فى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين، أما بعد، فأنه لما كانت البربر عند كثير من الناس أخسر الأمم وأجلهلها وأعراها من الفضائل وأبعدها من المكارم، رأيت أن أذكر ملوكهم فى الإسلام ورؤساءهم ونوّارهم وأنسابهم وبعض أعلامهم وتواريخ أزمانهم دون أخبارهم سوى خروجهم مع المنصور بن أبى عامر (١)، وأطرحت ماقيل ذلك.

فإنّ الكلام يتسع فيه والقول يطول فى إيراده، فإنّ ذلك يستدعى ذكر من غزا البربر وفتح بلادهم من سلف هذه الأمة الحنفية والملة الإسلامية

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك المعافرى القحطانى أبو عامر، المعروف بالمنصور ابن أبى عامر أمير الأندلس فى دولة المؤيد الأموى، وأحد الشجعان الدهاة، أصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة شاباً طالباً للعلم فبرع واستخلف على قضاء كورة ربه ثم عهد إليه بوكالة السيدة صبح أم هشام المؤيد، فولى النظر فى أموالها وضياعها، وعظمت مكانته عندها. وولى الشرطة السكة والمواريث. وأضيف إليه القضاء بإشبيلية. ولما مات المستنصر الأموى كان المؤيد صغيراً وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبى عامر لأم المؤيد سكون البلاد واستقرار الملك لابنها، وقام بشؤون الدولة وغزا وفتح ودامت له الأمارة٢٦سنة، غزافيها بلاد الإفرنج ٥٦ غزاة لم ينهزم له فيها جيش وكانت الدعوة على المنابر فى أيامه للمؤيد، وهو محتجب عن الناس، والملك لابن أبى عامر لم يضطرب عليه شئ منه أيا حياته، لحسن سياسته وعظم هيبته.

قال الذهبى : وكان المؤيد معه صورة بلامعنى وقال المستشرق رينودا Reinou: «جال غزاة المسلمين تحت رايات المنصور فى قشتاله وليون ونابارة وأراغون وكتلونية إلى أن وصلوا إلى غاشتونية Gascogns وجنوبى فرنسا، وجاست خيله فى أماكن لم يكن خفق فيها علم إسلامى من قبل وسقطت فى أيدى المسلمين مدينة شانتياقب santiago هى أقدس معهد مسيحى فى إسبانية، ومات فى إحدى =

منهم جماعة رضى الله عنهم أولهم عقبة بن نافع الصحابى (١) رضى الله عنه وبعده جماعة من التابعين وطائفة من أعلام بنى أمية.

ولماكانت بلاد المغرب منازل البربر ومساكنهم بعد فرارهم من الشام عقب قتل داود عليه السلام لجالوت، صارت أيضاً محتقرة عند الناس

= غزواته بمدينة سالم ولايزال قبره معروفاً فيها والإسبانيون يلفظونها مدينة سالى أو ثالى بالثاء ونقل الصفدي أنه «بنى مدينة الزاهرة بشرقى قرطبة على النهر الأعظم، محاكياً الزهراء، وبنى قنطرة على النهر محاكيا الجسر الأكبر بقرطبة وزاد فى الجامع مثليه » له شعر جيد،وأمه تميمية ولبعض العلماء تصانيف فى سيرته منها« كتاب لابن حيان». وكان قد ولد سنة٣٢٦هـ ومات سنة ٣٩٢هـ.

انظر: نفح الطيب ١/ ١٨٩، العبر فى ديوان المبتد أو الخبر ٤/ ١٤٧، الكامل ٩/ ٦١و بغية الملتمس ١٠٥. الذخيرة المجلد الأول من القسم الرابع ٣٩-٥٨، الوافى بالوفيات ٣/ ٣١٢، البيان المغرب ٢/ ٣٠١، المغرب فى حلى المغرب ١/ ١٩٤، تاريخ قضاة الأندلس ٨٠.

(١) هو عقبة بن نافع بن عبدالقيس الأموى القرشى الفهرى فاتح من كبار القادة فى صدر الإسلام وهو بانى مدينة القيروان، ولد فى حياة النبى ﷺ ولا صحبة له وشهد فتح مصر، وكان ابن خاله عمروبن العاص فوجهه عمرو إلى إفريقية سنة ٤٢هـ والياً، فافتتح كثيراً من تخوم السودان وكورها فى طريقه وعلا ذكره، فولاه معاوية إفريقية استقلالاً سنة ٥٠هـ، وسير إليه عشرة آلاف فارس، فأوغل فى بلاد إفريقية حتى أتى وادى القيروان، فأعجبه، فبنى فيه مسجداً لايزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة، وأمر من معه فبنوا فيه مساكنهم وعزله معاوية ٥٥هـ فعاد إلى المشرق، ولما توفى معاوية بعثه يزيدوالياً على المغرب سنة٦٢هـ فقصد القيروان. وخرج منها بجيش كثيف، ففتح حصوناً ومدناً صالحه أهل فزان، فسار إلى الزاب و تاهرت وتقدم إلى المغرب الأقصى، فبلغ البحر المحيط وعاد. فلما كان فى تهودة « من أرض الزاب» تقدمته العساكر إلى القيروان، وبقى فى عدد قليل فطمع به الفرنج فأطبقوا عليه فقتلوه ومن معه ودفن بالزاب.

انظر: الاستقصا ١/ ٣٦-٣٨، البيان المغرب ١/ ١٩، فتح العرب للمغرب ١٣٠-١٥٢و١٧٨-٢٠٥،بغية الرواد ١/ ٧٦.

وأدون أقاليم الدنيا، ولقد جرى ذكر المغرب بحضرة ابن عبد العزيز[1] العبيدى فقال بعض الحاضرين بلغنا أن الدنيا شبهت بطائر فالمشرق رأسها واليمن جناحها والشام جناحها الآخر والعراق صدرها والمغرب ذنبها، وكان فى المجلس رقل مغربى يقال له الدتا فقال لهم: صدقتهم والطائر طاووس» فضحك السلطان وأجزل صلته يريد أنّ أحسن مافى الطاووس ذنبه.

وكفى بالمغرب شرقاً وفخراً أن تأمر فيه من يرتضى مخاطبته ويستجيز مكاتبته الشيخ الإمام العالم العلم حجة الإسلام وفخر الأنام وقدوة الأمة وإمام الأئمة أبو حامد[2] الغزالى رضى الله عنه فإنه كتب لأبى يعقوب

(١) له ذكر فى البيان المغرب لابن عذارى، طبعة بيرون تحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٢) هو حجة الإسلام وزين الأنام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، ولد سنة ٤٥٠هـ بطوس، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى حانوته، فلما مرض بالمرض الذى مات فيه أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفى صالح. فعلهما الخط وأدبهما ثم لما نفذ ماترك أبوهما وتعذر عليهما القوت، فصرنا إلى المؤدب فى ذلك فقال. « أرى لكما أن تلتجئا إلى المدرسة» قال الغزالى: فصرنا إلى المدرسة فى طلب الفقه لتحصيل القوت، فكنا نأخذ الجراية ونقتات بها، ثم تفرق الغزالى عن أخيه فارتحل إلى أبى نصر الإسماعيلى بجرجان ثم إلى إمام الحرمين بنيسابور، فلازمه حتى صار أنظر أهل زمانه. فهو فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف منها «إحياء علوم الدين» و«تهافت الفلاسفة» و«محك النظر» و«مقاصد الفلاسفة» و«الاقتصاد فى الاعتقاد» و« المنقذ من الضلال» و« فضائح الباطنية» و«التبر المسبوك فى نصيحة الملوك» و« عقيدة أهل السنة» مات سنة ٥٠٥هـ.
قال الإسنائى عنه «كان التقوى دأبه وديدنه حتى انتقل إلى رحمة الله، وهو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود. وروح خلاصة أهل الإيمان والطريق الموصلة إلى رضاء الرحمن. يتقرب به إلى الله كل صديق، ولايبغضه إلا ملحد أو زنديق» انظرترجمته فى : شذرات الذهب ٤/ ١٠-١٣، مفتاح السعادة ٢/ ١٩١-٢١٠، تبيين كذب المفترى ٢٩١-٣٠٦، الوافى بالوفيات١/ ٢٧٤، طبقات السبكى=

يوسف بن تاشفين (١) « مائة ألف مقاتل دون أتباعهم ويخطب له على

= ٤/ ١٠١-١٨٢، لسان الميزان ١/ ٢٣، روضات الجنات ٧٥، تاريخ الفلسفة فى الإسلام لدى بور ١٩٦، طبقات ابن هداية الله١٩٣-١٩٥

(١) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالى الصنهاجي اللمتونى الحميرى أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين سلطان المغرب الأقصى وبانى مدينة مراكش وأول من دعى بأمير المسلمين، ولد فى صحراء المغرب سنة ٤١٠هـ وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتونى إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين، وجال جولة فى المغرب بجيش كبير مقوى أمره واستولى على مدينة فاس وغزا الأندلس، فصالحه ملوكها على الطاعة له، واستخلفه أبو بكر بن عمر على المغرب سنة٤٦٣هـ فاستقل به، وبنى مدينة مراكش سنة٤٦٥هـ وكتب إليه المعتمد بن عباد سنة ٤٧٥هـ من إشبيلية يستنجده على قتال الفرنج فزحف بجموعه فكانت وقعة الزلامة المشهورة التى انكسر فيها جيش الفرنج الزاحف من طليطلة كسرة شديدة سنة ٤٧٩هـ وبايعه بعد إنتهاء الوقعة من شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائها وكانوا ثلاثة عشر ملكاً، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعى بالأمير وضرب السكة من يومئذ وجددها ونقش ديناره «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وتحت ذلك «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين» وكتب فى الدائرة: «و من يتبغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين» وكتب فى الصفحة الأخرى «الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسى» وفى الدائرة تاريخ ضرب الدنيار وموضع سكه. وعاد إلى مراكش وهو على اتصال بأشبيلية وغيرها ثم لم يلبث أن سير الجيوش إلى الأندلس ودخل فى غرناطة « فى السنة نفسها» وفيها آخر الصنهاجيين عبد الله ابن بلكين » فامتلكها وأخذ ابن بلكين معه إلى مراكش. واستولى قائد جيشه « سير ابن أبى بكر» على مرسية وشاطبة ودانية ثم بلنسية وإشبيلية وبطليوس فتم له ملك الجزيرة كلها وشمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة بالأندلس، وتوفى بالأندلس سنة ٥٠٠ هـ. وكان حازماً ضابطاً لمصالح مملكته، ماضى العزيمة، معتدل القامة، أسمر اللون، نحيف الجسم، خفيف العارضين، دقيق الصوت، يخطب لبنى العباس.

انظر: الأنيس المطرب ٥، الكامل ٩/ ٢١٦، جذوة الاقتباس ٣٤٢،تاريخ الوردى ٢/ ٤٠٣ وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٥، بغية الرواد ٨٦.

أزيد من ألفي منبر مسيرة بلاده خمسة أشهر فإن آخرها متصل ببلاد الأفرنج مما يلي سرقسطة(١) من بلاد أرغون (٢) وآخرها أيضا متصل ببلاد دغانة(٣) من أرض السودان وسأورد كتاب الشيخ أبي حامد إليه في موضعه من هذا المجموع المسمى بمفاخر البربر مع رسائل يتعلق مضمنها بهذا الفن إن شاء الله، وقدملك المغرب ملوك ليسوا من البربر وهم بنو عبيد الله حمود عبد المؤمن على مذهب من يرى أن عبد المؤمن من مغر، والله أعلم .

---

(١) بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال طليطلة، ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير.

انظر : معجم البلدان ٣/ ٢١٢-٢١٤.

(٢) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموى

(٣) بعد الألف نون كلمة عجمية لا أعرف لها مشاركاً من العربية، وهى مدينة كبير فى جنوبى بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار ومنها يدخل فى المفازات إلى بلاد التبرو لولاها لتعذر الدخول إليهم لأنها فى موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يترودون إليها.

انظر: معجم البلدان ٤/ ١٨٤

ذكر أخبار المنصور بن أبي عامر مع البربر

قال ابن حيان(١): خرج محمد بن أبي عامر من حضرة قرطبة(٢) بعساكره إلى الجزيرة الخضراء في آخر صفر من سنة ٣٦٨هـ وهي الثامنة من غزواته، وضبط مجاز الأندلس على من عبر نحوها من أعداء الدولة ومنازعة من نجم بأرض المغرب من ملوك بني عبيد(٣) الله الشيعة والتمييز بين من تمسك بإحدى الدعوتين من فرق البرابر البادية والحاضرة.

---

(١) هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي الولاء أبو مروان مؤرخ. بحاث، من أهل قرطبة، كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه وأحسنهم تنسيقا له. من كتبه" المقتبس في تاريخ الأندلس" و" المبين" في تاريخ الأندلس أيضا أكبر من المقتبس وكتاب في "تراجم الصحابة" وجد منه الجزء الثالث.

انظر: جذوة المقتبس ١٨٨، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨.

(٢) بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهملة أيضا والباء الموحدة، كلمة فيما أحسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطب وهو العدو الشديد. مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام.

انظر: معجم البلدان ٧/ ٥٣-٥٥.

(٣) هو عبيد الله بن محمد بن الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم الفاطمي العلوي من ولد جعفر الصادق مؤسس دولة العلويين في المغرب وجد العبيديين الفاطميين أصحاب مصر وأحد الدعاة في نسبة خلاف طويل ولد سنة ٢٥٩هـ كان يسكن سلمية" بسورية" وكان أبوه قد أرسل الدعاة وأعظمهم أبو عبد الله الحسين ابن أحمد الملقب بالعلم والشهير بالشيعي فمهد له بيعة المغرب وفتح بلدانا وناصرته قبائل كتامة ووعدها بقرب ظهور" المهدي" إمام الزمان. ووصلت إلى المهدي رسل أبي عبد الله تدعوه، فبلغ خبرة المكتفي بالله العباسي فطلبه ففر من سلمية إلى العراق ثم لحق بمصر فالإسكندرية ومنها إلى المغرب واستفحل أمره=

وكان عمل العلويين الأدارسة [1] المعروفين ببني محمد برزا بين آل هاشم وأمية منذ تغلبوا عليه على عهد الرشيد[2] وبعد خروج المغرب عن

= حتى بويع في القيروان بيعة عامة سنة ٢٩٧هـ واستوطن« رقادة» عاصمة أواخر ملوك الأغالبة وبعث الولاة إلى طرابلس وصقلية وبرقة واستولى على تاهرت وحاول امتلاك مصر فقصدها مرتين ولم يظفر وقيل: دخل الإسكندرية وعاد إلى المغرب فاختط مدينة «المهدية» سنة٣٠٣هـ واتخذها قاعدة لملكه ومات بها سنة ٣٢٢هـ وبعد أن حكم أربعا وعشرين سنة وأخباره كثيرة

انظر: الكامل ٨/ ٩٠، العبر٤/ ١١ و٣٠-٤٠، اتعاظ الحنفا ١/ ١٧-١٠٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٢،تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٥

(١) نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وإليه نسبتها. أول ماعرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي ابن الحسن المثلث في المدينة أيام ثورته على الهادي العباسي ١٦٩هـ ثم قتل الحسين فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة ٧٢هـ ونزل بمدينة وليلي «علي مقربة من مراكش ولعلها اليوم مدينة قصر فرعون»وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعرفه إدريس بنفسه فأجاره وأكرمه ثم جمع البربر على القيام بدعوته وخلع طاعة بني العباس فتم له الأمر يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٧٢هـ فجمع جيشاً كثيفا وخرج به غازياً فبلغ بلاد تادلة« قرب تلمسان وفاس» ففتح معاقلها، وعاد إلى وليلي ثم غزا تلمسان فبلغ له صاحبها وعظم أمر إدريس فاستمرإلى أن توفي مسموماً في وليلي سنة ١٧٧هـ.

انظر : الاستقصا ١/ ٦٧، العبر ٤/ ١٢، البيان المغرب ١/ ٨٢و٢١٠.

(٢) هو هارون بن محمد بن المنصور العباسي أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرها ولدبالري سنة ١٤٩هـ لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية فصالحته الملكة إيريني IYENE وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ بأعيانها وازدهرت الدولة في أيامه واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب شارلمان فكانا يتهاديان التحف. وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه فصيحاً له شعر أورد صاحب الديارات نماذج منه وله محاضرات مع علماء عصره شجاعاً كثير الغزوات، يلقب بجبار بني العباس حازماً كريماً متواضعاً يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه. مات سنة ١٩٣هـ. =

أيدى العباسية إلى أن اقتحم عليهم من آل عبيد الله الشيعى والى عهد أخر الأدارسة حسن بن قنون [(١)] المنازع لأمير المؤمنين الحكم رحمة الله في وقته، فكان هؤلاء الأدارسة من الذين ينازعون الخلفاء لايسمون إلى ترك الخلافة. وكان سلطانهم يمتد إلى مدينة فاس[(٢)]قاعدة المغرب ومتبو أجدهم إدريس، ويشتمل على سائر عمل وليلى .[(٣)]

= انظر: تاريخ الطبرى ١١/ ٢٤، تاريخ اليعقوبى ٣/ ٢٠٤، الكامل ٧/ ١٠، مروج الذهب ٢/ ٢٧٨-٢٨٨، تاريخ بغداد ١٤/ ١٥.

(١) هو الحسن بن القاسم كنون الإدريسى آخر امراء الدولة الإدريسية الثانية فى الريف المغربى وبعض أطراف فاس ولى بعد أخيه أحمد سنة ٣٤٨هـ وكان يدعو للناصر الأموى «الخليفة بالأندلس» فوجه إليه المعز الفاطمى « صاحب مصر» جيشاً فجعل الدعوة للفاطميين سنة ٣٤٩هـ ثم خاف انتقام المروانيين منه، فخلع بيعة الفاطميين وأعاد الدولة لهم فزحف عليه بلكين بن زيرى من إفريقية« وكان من أشياع الفاطميين» فخضع له الحسن. ولما عاد بلكين إلى إفريقية وجه الحكم المستنصر «صاحب الأندلس» جيشاً لقتال الحسن فقاتله الحسن وقتل قائده، فغضب المستنصر فأكرمه وأسكنه قرطبة سنة ٣٦٤هـ ثم أخرجه منها ونفاه إلى المشرق سنة ٣٦٥هـ فأكرمه العزيز، ثم جهز له حيشاً وسيره إلى المغرب سنة ٣٧٣هـ فقاتل المروانيين طويلاً وبمقتله انقرضت دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى . مات سنة ٣٧٥هـ
أنظر : الاستقصا١/ ٨٦-٨٨.

(٢) بالسين المهملة بلفظ فاس البخار مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهى حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تخنط مراكش
أنظر: معجم البلدان ٦/٣٢٩-٣٣١.

(٣) مدينة بالمغرب قرب طنجة لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المغرب ناجياً من وقعة الفخ حصل بها فى سنة ١٧٢هـ فى أيام الرشيد وأقام بها إلى أن مات مسموماً سنة ١٧٤هـ
انظر : معجم البلدان ٨/ ٤٣٤.

وطنجة (١) ويتقلص وقت الصعب والاضطراب حتى لايجاوز عمل مدينة سبتة (٢) إلى أن اغتر هؤلاء الإ دارسة من أسباب الإدبار والفرقة مالم يزل من قبلهم من القرون الخالية والأمم السالفة، فسمالهم عبدالرحمن بن محمد المرواني(٣) أمير المؤمنين الناصر لدين الله وجرد إليهم العساكر فأفرجوا له

---

(١) هي بلد على ساحل. بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البربر. قال ابن حوقل: طنجة مدينة أزلية آبارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر والمدينة العامرة الآن على ميل من البحر وليس لها سور وهي على ظهر جبل وماؤها في قناة يجري إليهم من موضع لايعرفون منبعه على الحقيقة وهي خصبة وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد.
انظر : معجم البلدان ٦/ ٦١-٦٢

(٢) بلفظ النعلة الواحدة من الأسباب أعني التزام اليهود بفريضة السبت المشهور بفتح أوله وضبطه الحازمي بكسر أوله، وهي بلدة مشهور من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس
انظر: معجم البلدان ٥/ ٢٦-٢٧.

(٣)هو عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أبو المطرف المرواني، أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس. ولد سنة ٢٧٧هـ وتوفي سنة ٣٥٠هـ ونشأ يتيما «قتل أبوه وعمره ٢١يوماً فرباه جده» وبويع بعد وفاة جده سنة ٣٠٠هـ فكان أول مبايعيه بإمارة الأندلس أعمامه. لحب جده له، وكان عاقلاً داهية مصلحاً طموحاً انصرف إلى تسكين القلاقل وصفا له الملك، وظهر له ضعف المقتدر العباسي في العراق، فجمع الناس وخطب فيهم ذاكراً قبيلة أمية بالخلافة وأنهم أسبق إليها من بني العباس، فبايعوه بها سنة ٣١٦هـ وتلقب الناصر لدين الله، فجرى ذلك فيمن بعده. وكان أسلافه يسمون بني الخلائق ويخطب لهم الإمارة فقط. أنشأ مدينة الزهراء، مات سنة ٣٥٠هـ.
انظر الحلة السيراء ١/ ٩٩، طبقات السبكي ٢/ ٢٣٠، نفح الطيب ١/ ١٦٦، العبر ٤/ ١٣٧، الكامل ٨/ ١٧٧، أخبار مجموعة ١٥٣، أزهار الرياض =

عن مدينة سبتة وما ولاها، وانقبضوا إلى ماوراء ذلك من أعمالهم باصيلاً(١) والبصرة وجاوروا عبدالرحمن على اعتصام(**) بدعوته وتخطاهم عبدالرحمن إلى من خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم لمداً لمن عجز برجاله مقوياً لمن ضعف بما له متفقداً لهم في سائر الحالات باللطافة متعهداً بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زنانة(٢) في حزبه وارتسموا بطاعته ولاسيما عند امتياز أضدادهم صنهاجة (٣) في حزب أعدائه بني عبيد الله، وجرت بأسباب ذلك بين الطائفتين من أولياء الدعوتين حروب يطول القول فيها ووقائع يبعد تقضيها هلك باختلافها من ملوك الدعوتين وزعماء الطائفتين جماعة من أعظيمهم بعلى بن محمد اليفرني(٤) أحد ملوك زنانة الذي بنى مدينة افكان (٥). وكان سبب ذلك

=٢/ ٢٥٧-٢٨٤، المغرب في حلى المغرب ١/ ١٧٦-١٨١.

(١) بلد بالأندلس . قال سعد الخير: ربما كان من أعمال طليطلة
انظر: معجم البلدان ١/ ٢٧٨-٢٧٩.

(**) وردت على الهامش بالمخطوطة .

(٢) انظر : البيان المغرب لابن غدارى.

(٣) انظر: البيان المغرب لابن غدارى.

(٤)هو يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى أمير من أشراف البربر من أهل «ناكرونة» كانت له مدينة «آفكان» في إفريقية استقلالاً، ابتدأ بتأسيسها سنة ٣٣٨هـ وفي هذه السنة دخل وهران وملكها واستمر في إمارته إلى أن قتله جوهر» قائد جيش معد بن إسماعيل صاحب إفريقية» غدرا.
انظر : البيان المغرب ٢/ ٢١٦-٢٢٢.

(٥) اسم مدينة كانت ليعلى بن محمد ذات أرحبة وحمامات وقصور.
انظر: معجم البلدان ١/ ٣٠٦

ما استفزه الطماعية التى أدنته من جوهر (١) الرومى غلام معد بن إسماعيل صاحب الشيعة لما استنزل كور المغرب سنة٣٤٩هـ واستفتح مدينة سجلماسة (٢) وفاس وما حولهما (٣) فقض جموع الخوارج الصفرية(٤) أصحاب محمد بن(٥) الفتح إمامهم المسمى بالشاكر لله وهو صاحب سجلماسة فأخذه أسيراً بلاعهد وحطم أولياء المروانية وأبعد الآثار فى ديار المغرب فما قفل إلا بعد ثلاثين شهراً بحر الدنيا وراءه فلقيه يعلى هذا فى منحدره بمدينة تاهرت (٦) وانقابأسه بذلا بقوة قومه طامعاً فيما أبداه

(١)هو جوهر بن عبد الله الرومى أبو الحسن القائد بانى مدينة القاهرة والجامع الأزهر كان من موالى المعز العبيدى «صاحب إفريقية»وسيره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدى فدخلها سنة ٣٥٨هـ وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها ومكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز« سنة٣٦٢هـ» فحل المعز محله، وصار هو من عظماء القواد فى دولته ومابعد ها إلى توفى سنة ٣٨١هـ. وكان كثير الإحسان شجاعاً لم يبق بمصر شاعر إلارثاه، وكان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨هـ و سماها المنصورية حتى قدم المعز فسماها «القاهرة» وفرغ من بناء الأزهر فى رمضان ٣٦١هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١/ ١١٨، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٨، تاريخ ابن عساكر ٣/ ٤١٦، معجم البلدان ٧/ ١٩

(٢) بكسر أوله وثانيةوسكون اللام وبعد الألف سين مهملة ، مدينة فى جنوب المغرب فى طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهى فى منقطع جبل درن وهى فى وسط رمال.

انظر: معجم البلدان ٥/ ٤١.

(٣) وردت فى الأصل حول والصواب فى المتن

(٤) انظر:الدرجيني صاحب كتاب طبقات مشايخ المغرب

(٥) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى- طبعة الحلبى - القاهرة١٩٧٤م

(٦) بفتح الهاء وسكون والراء وتاء فوقها نقطتان اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين المسيلة ست مراحل

انظر : معجم البلدان ٢/ ٣٥٤-٣٥٧

جوهر لنظرائه ففتك به قواد كتامة بين يدي جوهر في أول جمادى الأولى من العام المذكور ومضى بسبيله وتفرق بنو محمد فما التأمت لهم جماعة على ابنه يدو إلا بعد مدة، وأناخ جوهر على باب فاس فجرت له حرب عظيمة ثلاثة عشر يوما حتى ظفر بأميرها أحمد بن بكر أسيراً ونهب المدينة وسبى أهلها وهدم سورها، وكان الحادث فيها عظيماً وكان ذلك كله في شهر رمضان سنة ٣٤٨هـ.

وانصرف جوهر إلى مولاه معد سنة ٣٤٩هـ. بعدأن دوخ المغرب، وأثخن في أهل ولاية المروانية فاستصبروا على الانحراف عن دولة الشيعة وأسروا لها الشنآن والغائلة وجددوا العصمة بأوليائهم المروانية، وكان أخلصهم في ذلك طوية آل خزر بن حنص بن صولات بن وزما ملوك جميع البوادي من زنانة وذلك لتحقيق خزر حدهم هذا بولاية عثمان رضي الله عنهم إذ كان إسلامه على يديه وعقده بالتقديم على قومه من قبله بأيدي ولده وراثة عنه بأهل بيته مذكانوا شيعة لبني مروان التائمين بدعوه عثمان إلى أن قام بأمرهم في هذا الوقت زعميهم محمد بن الخيربن محمد الخزري وكان من أكبر ملوكهم جمعاً وابسطهم يداً وأشدهم للمروانية إعظاماً مع أول ذلك الوقت الناصر لدين الله وتضاعف عزم الحكم ابنه في حماية أعمال العدوة فاستأنف في مخاطبتهم وتشحذ عزائمهم وبسط آمالهم وخص بأوفر ذلك محمد بن الخير زعيمهم فثاب نشاطه وشمر عن ساقه وقصد أصحاب معد وعاث في أعماله فرمى معد ثغر المغرب بصنيعته زيري بن مناد التلكاتي زعيم بادية صنهاجة وضد محمدبن الخير جملة ومحلة وإقامة في أولياء الدولة وسوغه ما افتتحه بسيفه من ديارهم فنزل ليري مدينة أشير واجتمعت إليه صنهاجة واشتدت صولته وكثرت وقائعه إلى أن جمع له محمد بن الخير جمعاً عظيماً من زنانة، فخرج بلقين بن زيري (١) المكنى بأبي الفتوح خليفة زيري أبيه

(١) هو بلقين (بلكين) بن زيري بن مناد الصنهاجي أبو الفتوح سيف الدولة المسمى=

وأكبر ولده في جميع صنهاجه وغافصه قبل أن تلتم نظامه وتنسني تعبيته والتقيافي النصف من ربيع الأخر سنة ٣٦٠هـ فدارت بينهم الحرب التي لم يعهد بمثلها ظهرت فيها صنهاجه بقوة الناموس وهبوب ريح الصولة، فلما نظر محمد بن الخير إلى مصاف أهله وايقن أنه قد احيط به مال إلى ناحية فذبح نفسه بسيفه واستمرت الهزيمة على قومه سحابة يومهم فادادوا منهم خلقاً عظيماً ظلت عظامهم بلائحة في المكان مدداً طائلة وقتل في هذه الوقعة بضعة عشر أميراً من زنانة ونصرت صنهاجة نصراً ثبت لها السلطان بأرض المغرب إلى المغرب إلى الوقت وسبى الخليفة الحكم بهذا وسرور عدوه وحكم الله بفضله بأختلاف الحال بينهما إلى أشهر خمسة وذلك أن زيرى بن مناد عقب هذه الوقعة استطال على بوادي البربر، وظن أن لاغالب له وبسط على قبائل زنانة النازلين باكناف المسيلة (١) وأميرهم يومئذ جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي (٢) . فاذله زيرى فيهم فتغير جعفر لذلك وأحتده ذلك على الدولة العبيدية وتحمل عن

= يوسف يربع نسبه إلى حمير، مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس كان في بدء أمره من قواد المعز الفاطمي وأبلى في إخضاع زنانة (بالمغرب) البلاء الحسن ، فلما استولى الفاطميون على مصر وأراد المعز الانتقال من المهدية إلى الديار المصريةسنة ٣٦١هـ ولاه إفريقية ماعدا صقلية وطرابلس الغرب «فكانت الأولى للكلبيين والثانية للكتاميين وسماه يوسف «بدلا من بلكين» وكناه أبو الفتوح ولقبه سيف الدولة أو سيف العزيز بالله مات سنة ٣٧٣هـ

انظر : وفيات الأعيان ١/ ٩٢، العبر ٦/ ١٥٥، البيان المغرب ١/ ٢٢٨-٢٣٩، أعمال الأعمال ٣٦.

(١) بالفتح ثم الكسر والياء ساكنة ولام، مدينة بالمغرب تسمى المحمدية، اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى سنة ٣١٥هـ وهو يومئذ ولى عهد أبيه وأبو القاسم هو الذي يلقب بالقاسم بعد المهدى من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر

انظر : معجم البلدان ٨/ ٥٨-٥٩

(٢)هو جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي أبو علي المعروف بابن غلبون =

مدينة المسيلة مظهر اللحاق بالمنصورية وذلك فى حمادى الأخيرة سنة ٣٦٠هـ ثم مال بأهله وماله وعدده وعبيده ورجاله إلى جمع زنانة وخلع طاعة معد، واعتصم بدعوة المروانية وتوافت إلى زنانة أمدادها من زنانة وغيرها ممن تخالف عن الوقعة فبادر نحوهم زيرى بن مناد طمعاً فى فضهم قبل أن تقوى شوكتهم فألقى نفسه عليهم وهو منهم على غاية الشقة وذلك فى شهر رمضان سنة ٣٦٠هـ فاشتد القتال بين الفريقين وزيرى فى صدر خيله يحرضها بفضل نخوته وشدة جرأته إلى أن عقربه فرسه وجدت زنانة فى التبض عليه وصنهاجة فى استنفاذه ودارت رحى الحرب ساعة قتل فيه من أنجاد الطائفتين جماعة إلى أن ظهرت عليه زنانة وهو عقير فاحترت رأسه واستمرت الهزيمة على صنهاجة فأبادتهم ، وأرزت زنانة عقب الوقعة إلى ساحل البحر ملتقيه بالأندلس وجلت من عادته بلقين بن زيرى وأنفذت زنانة رأس زيرى إلى الحكم مع يحيى بن على أخى جعفر وطائفة من وجوه رجالها عظمت النعمة على الحكم وأنفذ الأموال والخلع إلى زنانة وأذن لجعفر فى الدخول إليه وبسط أمله وأعظم جزاء يحيى أحيه والوفد معه وأوسع نزولهم وقراهم بقرطبة وأحسن إلى جعفر بتدبير زنانة عليه والعمل فى غدوة شرها إلى نعمته الجسيمة، فركب البحرفى مركب أعده له. فوصل إلى الأندلس فى جميع أهله وصامت ماله وفاخر متاعه فسر الحكم به وأكرمه ورفع منزلته وقدمه إلى أن نكب وجرى عليه ماهو معلوم. ونهب البرابر جميع ماتخلف جعفر ثم تفرقوا إلى أوطانهم وتنقل بلقين بن زيرى ووردت معد الشيعى النكبتان

= أمير الزاب (من أعمال إفريقية) كان جواداً لابن هانئ فيه مدائح يجمعهما مذهب الباطنية ونشأت فتنة بينه وبين زيرى بن مناد الصنهاجي. فقتل زيرى. فقام ابنه بلكين بن زيرى فانقلب جعفر إلى الأندلسى فقتل فيها وهو بانى «المسيلة» من بلاد المغرب

انظر : التاج ٧/ ٣٨٦، وفيات الأعيان ١/ ١١٣

معا فساد الأندلسي وخلعه وهزمه زيرى وقتله، فاشتد ذلك عليه وأقلقه وقلد هاتين العمليتين معا وأنجده الشيعى بالمال والرجال وأخرجه من المغرب فى أول سنة ٣٦١هـ فأوغل فى ديار زنانة وقتل منهم فى مواطن كثيرة خلقاً لايحصيهم إلا الله واستولى على تاهرت والمسيلة وطبنة (١) وباغاى(٢) وبجاية (٣) وبكرة وجميع المدن بالمغرب حتى لم يبق لزنانة فى شئ منها أمر، ثم انثنى على بواديها وصحاريها فقتل من زنانة وهوارة ونفزة وجميع أصناف البربر الخصاصين عالماً لايعلمه إلا خالقه وجعل يقول : لا أمان عندى لبربرى ركب فرساً أو نتج خيلا أبداً حيثما ماسلك من البلاد فأجفلت قبائل البرابر قدامه وأقصرت من معارضته فعند ذلك طمع حسن ابن قنون بن القاسم بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن عبد الله ابن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه صاحب البصرة وأصيلا وأعمال قاصية سبتة وآخر ملوك الأدارسة فى الوثوب بأصحاب الخليفة الحكم فكشف وجهه فى الخلاف وقطع الدعوة وصير قلعة الحجر الدانية من سبتة معقلاً له.

وتجرد الحكم لحربه فعطل الثغور من الرجال وأحجف ببيوت الأموال،

---

(١) بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة وهى فيما أحسب عجمية ومثلها فى العربية الطبنة لعبة للأعراب. وهى بلدة فى طرف إفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب، فتحتها موسى بن نصير فبلغ سبيها عشرين ألفا وهرب ملكهم كسيلة وسورها مبنى بالطوب وبها قصر وأرباض .
انظر: معجم البلدان ٦/ ٢٨-٢٩.

(٢) فى معجم البلدان باغاية الغين المعجمة وألف وياء مدينة كبيرة فى أقصى أفريقية بين مجانة وقسنطينة الهواء
انظر: معجم البلدان ٢/ ٤١ .

(٣) بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب، وكان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بلكين فى حدود سنة ٤٥٧هـ بينها وبين جزيرة بنى مزغناى أربعة أيام
انظر: معجم البلدان ٢/ ٦٢-٦٣

وأول من أنفذه إليه وزيره محمد بن القاسم بن طملس في جيش عظيم وعدّة كاملة فقتله الحسن في الوقعة المعروفة بمهران(١) من أرضهم وقتل معه من الجند الأندلسيين خلقاً عظيماً فيهم وجوه من الفرسان لم يعتد بعد بمثلهم وذلك في آخر ربيع الأول من سنة ٣٦٢هـ ، ولجأ الفلّ إلى مستغنيا بالحكم فاستدعى الحكم غالباً مولى الناصر من مدينة سالم(٢) قاعدته فيمن معه رجال الثغور فوافاه بقرطبة وضم إليه جيشاً عظيماً وحمل معه أموالاً جسيمه وعدداً واسعة عريضة وقال له:

يسر سير من لا إذن له في الرجوع حياً إلا منصوراً أو ميتاً فمعذوراً وابسط يدك في الإنفاق فإن أردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال، فنفذ في آخر شوال من السنة المذكورة فقمع حسناً وأصحابه بشدة البأس وصواب التدبير وبعد الصيت في الشجاعة حتى حصر حسنا بقلعة الحجر وقطع الموادّ عنه وأوقع في الجهات بأصحابه وأمده الحكم بالوزير يحيى التجيبي صاحب الثغر الأعلى ورجال العرب القاطبة استدعاه من قاعدته سرقسطة فيمن معه من أهل بيته ورجاله وبعثه في المحرم سنة ٣٦٣هـ وسار معه إخوته خلا عبد الرحمن وحده، واجتمع مع غالب على حصن ابن قنون فاشتد الأمر عليه حتى سأل الأمان فأجيب إلى ذلك ونزل إلى غالب بأهله ورجاله فأنفذهم إلى الأندلس فوافى الحضرة في شهر رمضان

---

(١) بالكسر ثم السكون وراء وآخره نون اسم اعجمي موضع لنهر السند وقال حمزة: وأصله بالفارسية حمدان روذ وهو واد يقبل من الشرق آخذا على جهة الجنوب متوجهاً إلى جهة المغرب

انظر : معجم البلدان ٨/ ٢٠٩

(٢)مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة وكانت من أعظم المدن وأشرفها وأكثرها شجراً وماءً، وكان طارق لما افتتح الأندلس ألفاها خرابا فعمرت في الإسلام

انظر :معجم البلدان ٥/ ١١

من سنة ٣٦٣هـ وكان يوم دخول حسن هـذا إلى مدينة الزهراء مذكوراً لما ظهر فيه ومن فخامة الملك وكثرة الجمع.

ووصل الحسن إلى الحكم فوافى بعـهده وأوسع له ولأهله وأثبت رجال جميعا في الديـوان وكانوا أنجاداً ماكملوا سبعمائة ولـقد شجوا سبعة آلاف من رجال الحكم بالعدوة فذلك ما حمل على اعتمادهم بالصنيعة واتخاذهم للدولة .

وهذا كان السبب في توافر هذه الطائفة بالأندلس، وكان هؤلاء الحسنية أكثرهم عبيداً لبنى محمد وأبناء لرجـالهم المغاربة، فمن مقدميهم ومن أبرَّ على الدفـاع عنهم محمـد بن فرجوله وحسـين الخليع وأحمد بـن رجاء بن مقاتـل بن سليـمان النقـرات وأبو شفة بـن ميمون وخـلف الله بن مزكـيدة ونتـحون بن عسـاكر ومخـلوف الشرقـى ومطروح بـن مـساوس وثعـبان الكتامى وغيرهم.

وكان حسـن بن قنـون هذا جاهلاً متهوراً فظاً شديد الجرأة قاسى القلب يطرح من ظفر به من جند الحكم من ذروة قلعة الحجر ومهواها إلى الأرض يفوت البـصر مع شدة المنـحدر يرفع الرجـل منهم بخـشبة تمد إليه فـلايكاد يصل إلـى الحضيض إلا قـطعاً. وكان يـأتى من قبـيح المثلة وسوء الهلـكة بأشيـاء ومنكرة احتمـلها له الحكم وفـاء بذمته على أنـه كان يبتغى مـساءته ويبيح هـجوه، لقد أنشده شـاعره محمد بن شـخيص (١) فى تـهنئته بعـيد الفطر سنة ٣٦٣هـ أثر دخول حسن إلى الأندلس قصيدة طويلة تصرف فيها وذكر حسـناً وآله فقال:

---

(١) انظر التفاصيل فى: طبقات مشايخ المغرب للدرجينى.

عـصابة تدعـى فى هـاشم نـسبـا   ومـا يـصـح لـه فـى عـقـرب
عمى البـصائر لم يعطف طبـائعها   إلى مـساعى النـقادين ولا حـسـب
وزادهـا فـى عـمـاهـا أن أولـهـا   ألقى العصا حيث لا علم ولا أدب
ولو عـدت من قـريش فـى ذأبتـها   لا وجبـت نفى الأحداث والـريب
إذا غدا حـسن فى الآل من حـسـن   رأساً فـياليـت شعـرى أيما الـذنب

فأصغى الحكم وإليه وأوسع صلتـه وركب غيره سمه فنفروا النفري وكان فى طبـاع الحكم لجاج لإيفـاء عهده، وكان خروج حسـن معه إلى المعصية على قطعة عنبر غريبة الشكل ثقيلة الجرم ظفر بها حسن فى بعض سواحله فـواها مسورة كان يتوسدها أوقات تجمله بـلغ الحكم خبرها فـسأله حملها إلى خزانته على أن يرضـيه عنها بحكمه فحمله تيوره علـى الضنّ بها عليه ونكبته وفى بعض أجوبتـه: «يقول الله تعالى فى قصة داود: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ[1]﴾ الآية. فكأنما قدح فى قلب الحكم ناراً أضرمت سريعاً العداوة وبعثت كامن الضغينة فخرج بهما الـلجاج إلى ما هو معـلوم من سفـك الدماء العظـيمة وهتـك الحرمات المحفـوظة وإتلاف الأموال الجسـيمة. ولم يدع الحكم فى تلك الـهنات البحث عن تلك العنبرة حتى ظهر عليها فأسرّ فى نفسـه أن قد أدرك البغية، ثم ضرب الدهر ضرباته وغلـب علـى بن حـمود[2] ابن عـم الحسن بـن قنون وصهـره على مـلك الأندلس ودخـل قصر الخلافة فـأصاب تلك العـنبرة بعـينها فى الخـزانة قد تجافت عنـها النوائب المجحـفة وخبأتها لـهم الأزمنة حتى عـادت إلى أيدى هـؤلاء العـلوية فـصار حـديثـها فـى الـسعـى آية وموعـظة، وكـان أكبـر

---

(١) سورة ص الآية ٢٣

(٢) انظر: التفاصيل فى البيان المغرب لابن عذارى.

آفات حسن من بني عمه المحمدية حسداً ونفاسة فكاتبوا الحكم وأعانوا قوّاده على حسن وجهدوا جهدهم في إزالته وظنوا أن الأمر بعده يصفو لهم، فلما زال عطف عليهم غالب فاعوجّ جميعهم وغيرهم أسيرة ابن عمهم وحملهم إلى الأندلس أجمعين بالمغرب دابرهم واجتثّ أصلهم واستوى في ذلك عاصيهم بمطيعهم.

وقفل غالب عن العدوة بعد الفراغ من شأن العلوية ووصل إلى الأندلس بجميع أملاك بني محمد ودخل الحضرة في صدر المحرّم سنة ٣٦٤هـ وأمر الحكم باستقباله بالجيش والعدّة وكان يومه عظيماً في الشهرة منزلة غالب وخلع عليه خلعاً سلطانية وقلده سيفين وردّه إلى الثغر عجلاً لظهور الطاغية هناك عن أهله. وكان من كبار ما جاء به غالب قنون شيخ بني محمد وكبيرهم وأحمد بن عيسى المكنى بأبي العيش بن أحمد بن محمد بن القاسم بن إدريس ومعه بنوه ومن بني عمه ميمون بن القاسم بن أحمد بن قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس وميمون لقب واسمه حسين بن القاسم وأقرّه يحيى بن القاسم في عدّة من بنيهم وأهليهم وعمهم الحكم بفضله وأقاموا مدّة في كنفه وهلك منهم بقرطبة جماعة فيهم الشيخ قنون وكان أقلهم حركة فدفن بقرطبة، وحسن مناب يحيى بن محمد التجيبي بالعدوة وتمهدت بالمغرب الدولة.

واشتغل معدّ بالرحيل إلى مصر وتمهيد تلك المملكة الجليلة فأعرض عن المغرب واستخلف عليه كله بلقين بن زيرى وجعل خاتمه في يده ونفذ كتابه إلى سائر الأقطار بالسمع والطاعة وأرسل بُلقين العمال إلى الأعمال والكور باسمه ونفذت كتبه مصدرة من عبد الله أبي الفتح يوسف بن زيرى خليفة أمير المؤمنين وهو في ذلك مقيم معسكر معدّ لا يمكنه الانفصال عنه إلى أن استقبل معدّ سائراً إلى مصر من مكان مضربه بفرسانه في صدر

ربيع الأول من سنة ٣٦٢هـ وانصرف بلقين من تشييعه لإحدى عشر ليلة خلت من الشهر فنزل قصر معدّ بالمنصورية وتمت له المملكة وتعجل بالخروج نحو المغرب فى شعبان من هذه السنة وقد عظم عساكره وبعد صيته فقضى الله أن اضطربت بعده القيروان بما جرى من خليفته عبد الله بن محمد الكاتب التميمي المعروف بالمختال وكاتب معدّ زيادة الله بن القائم المكنى بأبى حصر بأسباب المنافسة المودّية إلى الحرب والفتنة فتوقف بلقين من أجلها إلى أن انجلت عنه العماية مع انقضاء ٣٦٤هـ.

وركدت ريح المروانية بالمغرب لانغماس الحكم فى علة الفالج المعطلة له فرأى وزيره الأخصّ وصاحبه جعفر بن عثمان المصحفى وأصحابه من الوزراء قفول يحيي بن محمد بن هاشم لتسدّ به ثغور الأندلس لما ظهر من انبساط العدوّ بها وتقليد جعفر بن على الأندلس العدوة مكان يحيي إذ كانت بلده وإذ صاحب الأندلس بأحد الحسيين من جعفر فى حال الظفر أو المملكة بما خافوه من فساده على الحكم وابنه بعده وبما صاره إليه من النكبة وذلك عقب انطلاقه من سجن الحكم فعقد جعفر بن عثمان لجعفر ابن على وأخيه يحيى على المغرب باسم الحكم وأباحهما على الاقتطاع من بلاده وخلع عليهما خلعاً فاخرة ودفع إليهما مالاً وكسىً واسعة للخلع على ملوك العدوة وضمّ إليهما بعض رجالهما وأنفذهما فوصلا إلى قلعة الحجر سنة٣٦٥هـ وسلم العمل إليها يحيى بن محمد التجيبى وقفل إلى قرطبة فدخل فى هذه السنة وتحامل الحكم على نفسه فى الجلوس له براءة وأكرمه وخلع عليه وسرّحه لوقته إلى سرقسطة، وضبط جعفر بن على المغرب أحسن ضبط وأجفلت إليه زناتة حتى سار فى نحو ستة آلاف فارس وانضمّ إليه يدّو بن يعلى بن محمد صاحب بنى يفرن وزيرى وأخوه مقاتل ابنا عطيةَ بن عبد الله بن منادات[1] المغراوى عظماء زناتة وغيرهم

---

(١) انظر : التفاصيل فى البيان المغرب لابن عذارى.

من أبناء أمراء المغرب المنحاشين إلى المروانية مثل بنى البورى وبنى مرين وبنى مروة وغيرهم، فاستتام أمر المغرب بقية أيام الحكم وتظافرت أيدى ملوكه على دفع بلقين الصنهاجي.

وتخوّف جعفر بن عثمان المصحفى شرّ حسن بن قنون ومن كان معه واستثقل نفقاتهم فرأى إخراجهم عن أرض الأندلس فأذنهم بالرحيل وشرط عليهم أن يصاعدوا إلى المشرق وأخذ على زعيمهم بذلك العهد وأن لا يكون له إلى المغرب عرجة وأنه متى نكث بالذمة منه برئ وأطلق لهم مالاً استعانوا به على سفرهم ووكل بهم من أخرجهم على طريق المرية فعبروا البحر هناك في سنة ٣٦٥هـ فساروا نحو مصر ووصلوا إلى صاحبها نزار بن معدّ أثر ولايته فتقبلهم ووصل بزعمه أرحامهم وأجرى عليهم من فضله وأقرّهم مدّةً ثمّ تهيأ الحسن بن قنون ومن شاء الله منهم الحجّ وتفرّق منهم بديار المشرق عدةٌ وكان إخراجهم مما استبدّ به جعفر على الوزراء فحسب فى ذلك وقت نكبته إلى الأذهان في الدولة وأجمعوا أن حبسهم بالأندلس كان أحمد عاقبة.

وهلك الحكم وجلّ المغرب على هذه الصورة فحدث من اضطراب أمر المملكة ما قدّمناه إلى أن قام محمد بن أبى عامر بالتدبير فاعتدلت واحتاج إلى حضور جعفر فصار جعفر يلتوى عليه ويكره العودة إلى الأندلس حتى اتفق لجعفر خلاف أخيه يحيى واقتطاعه مدينة البصرة ودعوته لنفسه وذهابه بأكثر الرجال عنه وكان من الجهل والتهوّر بمكانة وجعفر فى حاجة إلى ما يعينه على القطيعة، واتفق على جعفر نكبته أيضاً مع برغواطة وذلك أنه ثاب له فى غزوهم رأى قدّر فيه الغنيمة الباردة فحدثت بينهم حرب شديدة قتل فيها أكثر رجاله وما نجا بنفسه إلى فى شرذمة قليلة على حال غليظة حسنت عنده الجواز إلى الأندلس والانضمام

إلى محمد بن أبى عـامر فتخلى لأخيه يحيى عن العـمل وعبر إلى الأندلس فى سنة ٣٦٧هـ فاتصل بمحمد وجذب إليـه البربر ودبر له تـلك الخطوات على ما تقدّم، واقتـصر محمد لأول قيامه على ضبط مديـنة سبتة وما والاها بجند السلطان الأندلسى وقلدها كبار رجاله من أصحاب السيوف والأقلام على حسب الحـاجة إلى تغيير طبـقاتهم وعوّل فى ضبط مـا وراء ذلك على ملوك زناتة وقعـدهم بالجوائز والخلع وأكرم وفودهم بيـابه وأثبت من رغب منـهم الإثبـات فى ديوانـه فأحبـوا محمـداً وجدّوا فى المحـاماة عن الـدولة برويحـة، واتفق لهـم أيام تقلـده الحجابة وتـفرّده بتدبـير الدولة وذلـك فى شعبان سنة ٣٦٩هـ أن زحف خزرون بن فلفول أحد عظماء زناتة ملوك بنى خزر المرتسمين بولاية بنى مروان بـالمغرب إلى مدينة سجلماسة وكانت قد عادت إلى أيدى الخوارج الأباضية بعد فـتح جوهر لها وأسره لمحمد بن الفتح صاحـبها الخارجى وقام رجل منـهم تسمى المعتزّ بـالله وذلك فى سنة ٣٥٢هـ فلم يـزل مالكها إلى أن ظهر عـليه خزون بن فلفول وهـزم جموعه وقتله واستولى على سجلماسة وضـبطها وذلك سنة ٣٧٦هـ ووجد للمعتزّ مالاً عظيماً وسلاحاً كثيراً وأقام الدعوة لـلخليفة المؤيد بالله هشام بن الحكم وهى أول دعـوة قامت للـمروانية بـذلك الصقـع وكتب بالـفتح إلى هـشام وأنفذ رأس المعـتزّ فشهر بقرطـبة ونصب بباب الـسدّة وكان أول رأس رفع فى الدولة ونسـب الأثر فيه إلى محمد بـن أبى عامر وتيمن لحجـابته وعقد لخزرون على سجلماسة فلم تزل بيده إلى أن هلك وصارت فى يد وانودين ابن خزرون إلى انقضاء الدولة.

وزحف أثـر هذا الفتح بلقين بن زيرى صاحب أفريقية إلى المـغرب زحفـته المشـهورة فى أول سـنة ٣٦٩هـ فأجفل قدامـه ملوك زنـاتة وأرزوا بقيـاطيتهم إلـى حائط سبتـة وفيهم يدّو بـن يعلى وابنـا عطية وغيـرهم من

ملوك بني خزر ويحيى بن علي صاحب البصرة وكلٌّ مذكور من زناتة وهم في جموع عظيمة وقد رهبوا بلقين أشد رهبة على علمائهم أنه في ستة آلاف فارس لا زيادة. وأسند القوم لمحمد بن أبي عامر فخرج بعساكره إلى الجزيرة الخضراء على ما قدّمناه عند استفتاح الخبر وخرج معه جعفر بن علي ورجال الدولة وحمل معه مائة حمل من المال معدودة ومن العدد مالا يحصى كثرةً فأقام بالجزيزة وجوّز جعفر بن علي إلى سبتة في أتم قوّة وأظهر عدّة فانضمت إليه ملوك زناتة وضربوا مصاف للقتال بظاهر سبتة وعملوا على المواقعة. وجاء بلقين في بعض الأيام في جريدة من خيله حتى أشرف على معسكرهم من أعلى جبل النور المطلّ على سبتة فعاين من معظم عسكره واتصال مدد الأندلس وابيضاض بحرهم بانتظام الشرع من تلقائهم ما هاله فأسرّ ذلك في نفسه وقال لمن حضر: «إنما سبتة حية ولت ذنبها حذاءنا وفغرت فاها نحونا!» وانصرف إلى معسكره فكان موقفه ذلك أقصى أثره. وجمع رجاله للمشورة فقال كلّ ما عنده واتبع أكثرهم هواه وسكت عبد الكريم صاحب فاس وكان قد انضمّ إليه حين مرّ به فأمره بالكلام فقال: «أرى أن تنصرف عن القوم فقد أقمتهم بين البحر والسيف ولا مهرب منها فسيقاتل كلّ منهم قتال مستميت وخلفك من قبائلهم وعشائرهم من قد طويت الديار دونه فإن انكسرت أطبقوا عليك فعسى تخلصك وإن ظهرت فبعد صبر يذهب فيه من يعزّ فقده من رجالك ولا يسدّ موضعه!» فأطرق طويلاً ودعا بالسيف فضرب عنق عبد الكريم وقال: «خشيتُ أن يشيع رأيه في زناتة فتأخذ به وكرهت مع ذلك حياة مثله!» ورحل بلقين ففرج عن زناتة وعادوا إلى أوطانهم وكفّ بلقين بعد عن غزوتهم وانفتح له في غزو برغواطة باب شغله عنه إلى أن هلك في سنة ٣٧٣هـ فاستراحت زناتة منه.

وجاز جعفر راجعاً إلى ابن أبي عامر بالجزيرة واستعمل ابن أبي عامر ابن خالد بن محمد بن زكريا التميمي المعروف بابن برطال على سبتة

وقتل ابن أبى عامر على الجزيرة فهلك عند ذلك الوزير عبد الرحمن بن الرماحس صاحب بجانة وكان من كبار رجال الدولة فاتهم ابن أبى عامر به وذلك أنه استدعاه وقت مقامه بالجزيرة ليناظره فى تجديد الأسطول من ناحيته فجاءه فى البحر وقدّر معه ما يحتاج إليه ثم أمره بالرجوع إلى عمله فلما دخل لمودعه قال: « ما أظنك اليوم طعمت شيئاً هاتوا للوزير ما حضر فإنا لا نحتشمه. » فأتى بدجاجة كثيرة السكر فطعم عبد الرحمن شاكر الخصوصية وسار من وقته فلم يكد الطعام يستقر فى جوفه حتى أنكر نفسه وقاء وما وصل إلى المرية إلا لمآبه وهو يلعن الدجاجة التى جلبت حتفه فقضى نحبه فى جمادى الأخيرة من هذه السنة، وأنفذ ابن أبى عامر صاحبه أحمد بن عروس للاحتياط على تركته فحاز له من ذلك مالا كفاء له وكان ابن الرماحس أنضّ أهل المملكة بغير خلاف.

ولم يزل أهل المغرب مستقيماً بعد انصراف بلقين عنه إلى أن نبأ بالبائس ابن قنون مكانه عند نزار بمصر ونازعته نفسه العودة إلى وطنه فكلم يعقوب بن كلس (١) وزير نزار فى ذلك فوافق ذلك من ابن كلس وصاحبه رغبة وأحبا الراحة من حسن وأهله والتخفيف من مؤنتهم وأمر نزار ابن كلس فسرّح حسناً ومن معه وكتب إلى بلقين فى إنفاذهم إلى المغرب وإعانتهم على ما يحاولونه فأمضى بهم بلقين لسبيلهم وقدّم حسناً عليهم وأمره بتخبيب البلاد على بنى مروان وقوّى أيديه بمال ووعده بإضعافه عند ظهور الدعوة فاقتحم حسن ومن جاء معه ديار المغرب فوجد الناس على خلاف العادة وعمال صاحب الأندلس لا تخرق لهم هيبة إلى أن التفّ به جميع من أسند إلى ظهره وشرع فى إظهار دعوته فهلك عند

---

(١) انظر: التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى للدكتور حسن إبراهيم حسن والحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى للدكتور محمد جمال الدين سرور.

ذلك بلقين وولي ابنه المنصور فشغل عن حسن وغيره ولها عن مذهب أبيه فانفضّ أكثر من كان التفَّ بحسن فصعد إلى الأقلام فدعا إلى نفسه والتفَّ أهل الفساد به وانضموا إليه، فأنفذ محمد بن أبي عامر ابن عمه بن عبد الله عسكلاجة لحرب حسن فأحاط به وخرج ابن أبي عامر في جموعه إلى الجزيرة الخضراء كما يشارف القصة على عادته وذلك في ربيع الأوّل ٣٧٥هـ وأخذ في تجويز الناس إلى العدوة وأجاز عبد الله ابنه ومحمد بن أحمد بن جابر معه بالأموال وصهره الوزير عبد الرحمن بن محمد التجيبي وغيره من وجوه القوّاد فلم يكن لحسن ظهرٌ ولا وجد حيلة يعملها إلا الدعاء إلى تأمينه على سالف صنيعه فأعطاه من ذلك عمرو ما وثق به وأشخصه إلى الحضرة موكلاً به فلم يمض محمد بن أبي عامر أمان عمرو ورأى أنه لا ذمة له مع كثرة نكثه وسعيه بالفساد فبعث من ثقاته من أمره باستقباله وقتله فلقوه بالقرب من بريد الثنية وعدلوا به عن الطريق فضربوا عنقه وواروا جسده وحملوا رأسه. وحدَّث من شهد قتله أن عاصفاً من الريح هبت في الوقت عليهم بالأهاضيم والهنوات واستلبت ثيابهم عن أجسادهم واحتملت رداء حسن فلم يجدوه بعد وأظلم الأفق عليهم حتى خافوا على أنفسهم. وموضع مقتل حسن معلوم إلى هذا الوقت وهذه الحكاية عندهم محفوظة وكان مقتله في جمادى الأولى سنة ٣٧٥هـ.

وتمزَّقت بعده العلوية في البلاد وعفا ذكرها خفية. وسير محمد بن أبي عامر عن الأندلس منهم من خاف جانبه ولم يقرَّ إلا من اعتدلت طريقته ومسكنهم بما يقيم في الأزمات عن المعيشة إلى أن لها عنهم فعاد من شاء منهم إلى الحضرة ودخل الديوان منهم قومٌ صاروا في عرض المغاربة وارتفعت منازلهم في هذه الجهة حتى سموا إلى طلب الملك عند إطباق

الفتنة على ما يأتي ذكره في مكانه إن شاء الله، وقال إبراهيم بن إدريس الحسني (١) يهجو ابن أبي عامر لما سيره عن الأندلس فيمن سيره من أهل بيته ويحرّض بني مروان عليه:

فيما أرى عجب لمن يتعجب | جلت مصيبتنا وضاق المذهب
إني لا أكذب مقلتي فيما أرى | حتى أقول غلطتُ فيما أحسب
أيكون حياً من أمية واحد | يسوس ضخم الملك هذا الأحدب
تمشي عساكرهم حوالي هودج | أعواده فيهمً قردُ أشهب
أبني أمية أين أقمار الدجا | منكم وما لوجوهها لا تغيب

وأقام عسكلاجة بعد مقتل حسن مديدة تسبى فيها الهيبة واستراح إلى الجند بأقوال ثبت عنه حملت ابن أبي عامر على استقدامه والبطش في الوقت به الذي ذكرناه فلحق بحسن معذوره سريعاً وعجب الناس من سرعة الانتقام منه، وقلد ابن أبي عامر المغرب الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي وجمع أعماله له وقوّى يده وأكثف عدده فنفذ إليه في سنة ٣٧٦هـ فضبط البلد ضبطاً لم يقدر عليه من قبله وهاب البرابر باسمه وأمره ودخل مدينة فاس بعد مديدة وجعل فيها مقامة فعزّ هناك سلطانه وكثر جمعه وانضمّ إليه ملوك النواحي حتى تحذّر ابن أبي عامر منه ومن خلافه فذهب إلى اختياره فكتب إليه في السر يستدعي حضوره لأمر أسرّه إليه فركب البحر ووافى الحضرة في أيام يسيرة ولم يسمع ابن أبي عامر بخبره إلا مستأذناً عليه فخجل الساعوني وازداد ابن أبي عامر بمكانه وصرّفه إلى عمله وقد ضاعف تكرمته.

---

(١) انظر: التفاصيل في المعجب للمراكشي

وهلك المدّة مقاتل بن عطية فانفرد زيـرى بالرياسة فى زناتة وكثر أتباعه واستجرى لمحمد بن أبـى عامر وتصدّى لمسرّته فأقبل محمـد عليه واختصه وحباه علـى يدو بن يعلى وقد خـشى غدره وملّ اضطرابه فـدعا زيرى إلى الدخول عليـه يختبر طاعته ويغرى يـدو بمناغاته فى ذلك فيتمـكن من قياده فاستجاب زيرى لمحـمد فوافى بابه قبل الثمـانين وثلاثمائة فاستقـبله محمد بالجيش والعدّة وكـان يومه مذكوراً مقداره وأنزله قصر جعـفر بقوته راشه. وتوسع له بالجرايـة وولاه خطة الوزارة ودعاه إلى قصره فاحتـفل فى مبرّته ودفع له قيمة هديته وكانت خيلاً كـثيرة وسلاحاً ووصله بمال عظيم وكسى جمـة وألطاف فاخـرة وعجل تـسريحه إلـى بلده بمـا قدّره عنده مـن عدوه وألحق فى ديوانه أكثر الرجال الذين جاء بهم .

ولما استوت قدمه بأرض العدوة حسـن رأسه وتعمم وقال :« الآن علمتُ أنك لى!» وعـاد إلى قيطونة وشـاع عنه استقـلال عطاء ابن أبى عامـر على سعته وغمض لمعروفه على جزالته وإذالته لما كساه من اسم الوزارة حتى قال لبعض رجاله:« لـو كان بالأندلـس رجل لما تركه وأن له منـا ليوثاً ! والله لقد ناحرنى فيما أهديت إلـيه حظاً للقيم ثم غالطنى بما بدله تـبتيتا للكرم إلا أن يحتسب بثمن الوزارة التى حطنى بـها عن رتبتى!»وتنمى ذلك إلى ابن أبى عامر فصـر عليه أذنه وأقره لـوقته وأظهر الانهـتال فى اصطناعـه، وتمنى من يدو بن يعلى الدخـول إليه حسب ما فعله زيرى فامتنـع وقال لبعض رسله: «قلْ لابن أبى عامر: متى عهد حُمر الوحـش تنقاد للبياطرة!» وأخذ يدو فى العبث والإفساد وظـاهر زيرى عليه الوزير حسـن ابن أحـمد بن عبد الودود إلى أن قصدهـما يدو فى جميع لـغفه فالتقـى الجمعان يوم الثلاثـاء لاثنتى عشـرة ليلة بـقيت مـن المحرم سنة٣٨١هــ بملويـة وأهزم زيرى وحسـن بن أحمد بعد أن أثخن جـراحاً وجاز يدو عسكرهـما وأكثر القـتل فى رجالهما وجرح زيرى بن يعلى أخو يدو بن يعلـى وهلك الوزير حسن بن أحمد من جـراحـــه وتـــخـــرم عـــســـكـــره، ووافـــى الخـــبـــر عـــلـــى ابـــن

أبى عامر فاشتدَّ عنه وكتب إلى زيرى بن عطية فى ضبط فاس ومكانف استصحاب حسن وأقامه مكانه.

وقال محمد بن حسين الطبنى يرثى لابن أبى عامر عن حسن بن أحمد المقتول :(١)

لا شكَّ أنَّ سجال الحرب مختلف	فيما روى الناس مذ كانوا ومذ عرفُ
هوّن عليك فنصر الله بعقبه	يا ربَّ كره إلى المحبوب ينصرف
يا عزةَ السعد الميمون صائرةٌ	لا تكثرت فإليك النصر ينعطفُ
لو هلك الناس لا بنفصك هلكيم	فأنت وحدك عنهم كلهم خلفُ
لله عندك عادات سيكملها	فعادة الله قسمٌ ليس ينحرفُ
كم قد رأينا الذى لا يرتضى سبباً	إلى رضا بجميل الصنع يأتلفُ

واتفق فى هذا الوقت أن خالف أبو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى ابن أخيه منصور بن بلقين بن زيرى صاحب القيروان واقتطع ناحيته من المغرب وخلع دعوة العبيدية ومال إلى الدعوة المروانية. وساعده على ذلك صهره خلوف بن أبى بكر وكان أكبر قوّاد منصور بن بلقين بالمغرب فاشتملا على أعمال تلمسان ووهران وشلف وغيرها. وكاتب أبو البهار ابن أبى عامر وأقام لصاحبه المؤيد بالله بالدعوة فطمع فيه ابن أبى عامر وأعدّه لزيرى بن عطية قبل الحاجة على سبيله فى الاستظهار أيام الصداقة للمداوة فتكررت بينه وبين أبى البهار مراسلات وكان السفير بينهما هدوس القروى التاجر وأنفذ إليه ابن أبى عامر الهدايا والأمتعة والأموال الجزلة وإلى خلوف صهره إلى أن أنفذ إلى أبو البهار ابن أخيه أبا بكر بن

(١) انظر: المعجب للمراكشى

حبوس بن زيرى بن مناد وهو فارس صنهاجة فى وقته فى طائفة من أهل بيته فوافوا سنة ٣٨١هـ واستقبلوا بالجيوش فكان يوم دخوله مذكوراً ووصل أبو بكر إلى ابن أبى عامر فى مجلسه المبارك فقبل الأرض بين يديه واستحذى له فأكرم مثواه وخلع عليه جميع أصحابه وأطلق لهم الصلات على منازلهم وحمل معه إلى عمه أبى البهار خمسة وعشرين ألف دينار دراهم وخمسمائة قطعة من صنوف الثياب الخزّ وغيره وأنفذ إليه حلية وآنية وألطافاً قيمتها عشرة آلاف دينار.

واضطرب فى هذه المدّة حال زيرى بن عطية بفاس مرّة يخرجه عنها يدُّو بن يعلى ومرّة يخرجه هو عنها والحرب بينهما سجال إلى أن قوّى ابن أبى عامر أبا البهار وألفهما على الدعوة فأخذها بالترادف والتزايد والتظافر فنعلا فلم يفارقهما يدّو وعوّذ عنهما فاقتسما مدينة فاس وأعمالهما شقّ الأنملة فكان لأحدهما عدوة وللآخر عدة وأخذا فى مغاورة يدّو فانتنض عليهما خلوف بن أبى بكر وعاد إلى دعوة العبيدية وحدّد لهما منصور بن بلقين الولاية وتجرّد زيرى لحربه فلم يساعده عليه أبو البهار للوصلة بينهما ومرض فى مؤازرته فكان ذلك أصل الخلاف بينهما فلتيه زيرى فى شهر رمضان سنة ٣٨١هـ فجرت بينهما حروب مرّة قتل فيها خلوف بن أبى بكر وجماعة من أصحابه واستولى زيرى على عسكره ومتاعه وانحاش أكثر أصحابه أمان زيرى وصاروا فى جملته وفرعطية أخو خلوف بن أبي بكر فى فل من أصحابه فدخل إلى الصحراء، وورد كتاب زيري بالفتح على إلى ابن أبى عامر فأمر بقراءته على المنابر وعظمت به المسرّة واستعجل أمر زيرى فلتى على أثرها يدّو بن يعلى اليفرنى فهزمه بعد حروب شديدة ومضى على وجهه لا يلوى على شئ لاذ بالصحراء منكوباً. واستحوذ زيرى وأصحابه على قيطونه وماله فأخذ من ذلك مالا كفاء له كثرةً وأخذ أمه وأخته وكثيراً من حرمه وقتل من رجاله أزيد من ثلاثة آلاف فارس واستأمن منهم خلقاً كثيراً فازداد بهم قوّة

وهابته ملوك المغـرب أشدّ هيبة، وورد كتابه بالفتح علـى ابن أبى عامر فأمر بقراءته فـى الآفاق وعظم سرور ابن أبى عامـربما أدركه من نيله عـند الغادر يدُو وبن يعلى وأنفذ إلى زيرى الخلع والصلات.

وهلك يدّو فـى هذه الوقعة وقام بأمر بـنى يفرن بعده ابن أخـيه حبوس ابن زيرى بن يعـلى فوثب عليه ابن عـمه أبو يداس فقتله وجـاء فى الرياسة فاختلف عليه بنو يفرن واضطرّ إلى دخـول الأندلـس مستأمناً فيمن كان معه عند تلك النـكبة فجاء بجمع عظيـم كانوا فى الأصل فى تكاثر هذه الـقبيلة بعسكر ابن أبى عامر، وتولى أمر بنـى يفرن بعد المقتول أخٌ له من ولد زيرى ابن يعلى فاستقاموا عليه ولـم تَزل رياستهم فى ولد زيرى إلى قيام الفتنة وما بعدها، ثمَّ ورد الخبـر على ابن أبى عامر فى شوّال سنة٣٨٢هـ بتفاقم الأمر بين الـقائدين بـالمغرب زيرى بـن عطية المـغراوى وأبى البـهار الصنـهاجى وأنهمـا اقتتلاً فـانهزم أبو الـبهار وأقبـل هارباً إلى سـبتة مظـهر العبـور إلى الأندلس فانفطر ابن أبـى عامر كاتبه عيـسى بن سعيد فى طـائفة ضخمة من الجند لمشـارفة حال أبى البهار وإحكـام أمره فلاذ أبو البهار عن الـعبور إلى الأندلس وصاعد إلى قلـعة جارت مستمسكاً بالدعوة إلـى أن صلح ما بين أبى البهار وقومه فعاد إليهم وخلع الطاعة وخسر ابن أبى عامر ما أنفق عليه من الأموال الجليلة.

وجمع ابن أبى عامر لزيرى بن عطـية الأعمال فوافى رسوله الحضرة فى صدر شوّال ٣٨٤هـ ومعه هديته المشـهـورة بقرطبـة التى احتـفل فيهـا مذ صحـت له الولايـة فوصلت إلـى ابن أبى عـامر فى الحـفل والتعـبية فـكان الظاهـر منها مـائتا فرس مـن عتاق الخيـل منها عـشرون من خيـل الركاب المنسوبة مـن نبية القـمة وخمـسـون حملاً من العدّة الـسلطـانية ومن الدرق

اللمطى والقنى الهندى عدد عظيم وغير ذلك من الألطاف والتف فيها أشياء من الحيوان غريبة الخلق لا عهد الناس بها منها طائر فصيح عجيب الصوت بديع المنظر والخلقة ودابة من داوب المسك ونمر عجيب الخلق عظيم الجرم وكان فى هذه الهدية زرافة حرص زيرى على وصولها حية فأودعوه ذلك ونفقت فى بعض الطريق فجىء بجلدها خشواً وكثر التعجب منه وعظم سرور ابن أبى عامر بما أهداه زرير وأجزل مكافأته عليه.

ولم تزل الحال بين ابن أبى عامر وزيرى جميلة إلى أن نشأت الوحشة بين ابن أبى عامر وهشام الخليفة وذلك فى سنة ٣٨٦هـ وقد تناهب حال ابن أبى عامر فى القوّة فأعلم أنّ لزيرى فى معنى الإشفاق والإنكار للاستبداد عليه أقوالاً لم تر السياسة الأعراض عنها ففتح عليه باب المحنة وحمل عليه حطة الهضمية فألقاه برّ النفس حمىّ الأنف فأخرج ابن أبى عامر كاتبه الأخص عيسى بن سعيد اليحصبى إلى العدوة فى جيش ضخم ضمنه إليه وقلده النظر فى شأن زيرى فسار إليها ورام استصلاح زيرى فاستعصى عليه فأقام عيسى فى وجهه بقية سنة ٣٨٦هـ واستأمن إليه فى آخرها محمد ابن حمود المعروف بابن البقال[١] صاحب قلعة الحجر أحد قوّاد زيرى فأنفذه إلى الحضرة فأحسن المنصور إليه وسماه الناصح، وكشف زيرى وجهه فى معصية ابن أبى عامر مع تمسكه بالدعوة المروانية فأظهر ابن أبى عامر منه البراءة فى شوال سنة ٣٨٧هـ وصرفه من خط الوزارة وقطع ما كان يجرى عليه من راتبها.

واستقدم ابن أبى عامر غلامه واضحاً الصقلبى الفتى الكبير من مدينة سالم وكان أوثق غلمانه عنده فعقد له على كور المغرب وقلده حرب

(١) انظر: التفاصيل فى موسوعة المغرب للدكتور حسين مؤنس

زيرى وشرط عليه واضح انتخاب الجند فأجابه إلى ذلك فانتقى الحماة من سائر الطبقات وأزاح ابن أبى عامر علل أصحابه بالعطاء والصلات وننذ واضح بذلك العسكر منسلخ شوال المؤرخ وحمل مولاه معه أموالاً عظيمة وعدّة واسعة وكسى جمة وقلد ابن أبى عامر ثغور مدينة سالم غلامه مفرّج ابن محمد العامرى فنزل واضح مدينة طنجة.

واجتمع إليه من ثبت من القوّاد على الطاعة وأمدّه مولاه فى ذلك الحجة من هذه السنة بعدّة من قوّاد البربر وأمرائهم بعد أن أوسعهم خلعاً وصلات ومعاريف وهبات مثل إسماعيل بن البورى ومحمد بن عبد الله بن مرين ابن عمه ومحمد بن الخير الخزرى وابن عمه بكساس بن سيد الناس وخزرون بن محمد الأزداجى ابن عمهم وزيرى بن خزر وأبو بخت ابن عبد الله بن بكار وغيرهم وكلهم من زناتة وأنفذ فى أثرهم أيضاً طائفة من وجوه القوّاد الأندلس فتكاملت الجنود بالعدوة، وأصحر واضح للقاء زيرى بحبل حبيب فتوافقا هنالك ثلاثة أشهر كلاهما لا يؤثر المناجزة والعمل منهما على المطاولة والمناوشة وربما قامت الحرب بينهما فيتكافيان. وشعار أصحاب زيرى «هشام يا منصور!» وشعار أصحاب محمد بن أبى عامر« يا منصور!» فكانت قريبة وافترقا على سواء، واتهم واضح وجوه بني برزال من جنود مولاه بالإذعان فأنفذهم إليه فوبخهم ابن أبى عامر فتنصلوا مما نسب إليهم وأقسموا على باطله فتسنح عنهم وأخرجهم خلف ابنيه عبد الملك وعبد الرحمن وقد أغزاهما غليسية فحسن عناوهما فى ذلك الوجه.

واشتدّ أصحاب واضح على حصن آصيلا فملكوه وإلى حصن نكور فضبطوه واتصلت الوقائع بين زيرى وواضح وكانت لواضح فى قطعة وافرة من أصحاب زيرى خطمة فظيعة وكانوا ثلاثة آلاف فارس وضعفهم

من الرجالة وقائدهم خليفة زيرى فكبسهم واضح بموضع يعرف بمضيق الحية سرى إليهم من طنجة فأوقع بهم وهم غارّون فى رجب سنة ٣٨٨هـ فملك أولئك سوادهم وأكثروا القتل فيهم وأسروا منهم نحو ألفى رجل فمنْ واضح عليهم وانضموا إليه، ووافى الخبر على ابن أبى عامر عقب رجب من العام المذكور فعزم ابن أبى عامر على الخروج فيمن بقى معه من الجند إلى الجزيرة الخضراء فنفذ لذلك من مسجده الجامع بالزاهرة أثر صلاة الجمعة لتسع خلون من شعبان من هذه السنة وسار فى جمع عظيم وعدد كاملة واستخلف ابنه عبد الملك على الزاهرة وفيها يومئذ الخليفة هشام نازلاً وقد تقدّم أن تبنى له التصور فى منازل طريقه إلى الجزيرة حسب ما اتخذه فى طريقه إلى الثغر، ونظر ابن أبى عامر فى تجويز العساكر إلى العدوة ورأى أن ينفذ معهم ابنه عبد الرحمن وكان معه فى وجهه ذلك ثم استحال مذهبه إلى إنتاذ عبد الملك لبأسه وبعد صيته فاستدعى حضوره وأنفذ أخاه عبد الرحمن لينوب منابه فى خدمة الخليفة، فوافى عبد الملك الجزيرة يوم السبت مستهل شهر رمضان المؤرّخ وقد جاز أكثر الناس وضم ابن أبى عامر إلى ابنه أكابر من غلمانه واستذاع خبر عبد الملك بالعدوة فرجع أكثر من كان مع زيرى إلى طاعته ولحقوا بعسكره من ملوك القبائل ورؤساء البرابر فتناولهم من إحسانه وبرّه مالم يعهد مثله وتوارت كتب من تخلف عنه ورسلهم وانتثر أمر زيرى، وسار عبد الملك نحو طنجة مع أجناده واجتمع مع واضح غلامه فوافاهما شهر رمضان فأقام هنالك مزيحاً لعلل الأجناد معداً للقاء العدوّ، وانصرف أبوه إلى قرطبة للنصف من شهر رمضان.

ولما استتم لعبد الملك تدبيره سار نحو زيرى فى جمع لا كفاء له فغاب خبره أياماً ثم ورد الفتح من قبله منسلخ شوال من هذه السنة فذكر أنه لقى زيرى في جموعه الجمة بجبل حبيب يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال فحدثت بينهما حرب شديدة كانت فيها على إحدى

مجنبتي عبد الملك حطمة أطمعت زيرى فى فضّ القلب فصمد في نفسه وتقدم فى الحرب محرضاً لحماته واستقبله الحاجب عبد الملك كفة فكان أجرأ منه مقدماً وأثبت مقاماً بعد أن كشف رأسه وانتمي وصمم لوجهه فدارت رحى الحرب ساعةً أنكر الأنيس فيها نفسه وخفت الجرس فلا تسمع إلا غمغمة بطل أو صليل صفحة ثم حكم الله لعبد الملك بالظهور فنجم من خلال البقع كأنه كوكب درّى صبّ على زيرى فانصاع منهزماً لا يلوى على من تعذّر واستمرّت الهزيمة على أصحابه وحكم الجند فيهم أسيافهم حتى نادى منادى عبد الملك الإبقاء على من استأسر منهم وملك أهل العسكر محلة زيرى بأسرها فجاوزوا فيها من الأموال والحلية والسلاح والعدّة والكراع ما لا يحاط بوصفه كثرةً، وسار زيرى إلى قاعدته فاس فى شرذمة من أصحابه وبه أجراح صعبة فسأل أهل فاس أن يخرجوا إليه حرمه خاصة فاستعفوه بذلك وتحملهن ومضى هارباً على وجهه حتى لحق بالصحراء وأسلم مدينته فاساً وجميع أعماله بما كان فيها من نعمه وأمواله واستولى عبد الملك على جميع ذلك وكان أثره فى هذه الغزوة حميداً عظيماً مجمعاً على استغرابه والتحدث فى البلاد عنه. وأصيب من جنده نيف على ستمائة فارس فيهم من وجوه رجاله وغلمانه وقواده نيف وعشرون فارساً ومن الرجالة وغيرهم جمع عظيم ومنح الله الفتح وعفا عن الرزية، ولم يعظم سرور ابن أبى عامر بشئ فتح عليه كعظمه لهذا الفتح أمر بقراءة كتاب ابنه على الناس وأعتق فى الوقت ألفاً وخمسمائة عبد من غلمانه الصقالبة والفحول وأتبعهم أموالهم أجمعين وأمر بصدقات واسعة فرّقت فى طوائق أهل المملكة وكتب ابن أبى عامر إلى ابنه بولاية المغرب وصرف واضحاً عنه فقرئ كتابه بجامع فاس بعد صلاة الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة من هذه السنة.

وكان زيرى مستظهراً على عبد الملك وأصحابه مع ضنك المقام وصعوبة المأقط قد تقدّم صفوفه فى مقنب من ثلاثين فارساً حماة بنى

مغراوة قومه كالجمال المصاعب وصاحبه محمد بن عبد الله يصلى حومة الوغاء ويعمل أعمال المنكرة إلى أن صمد لزيرى عند إمكان الغرّة غلامٌ أسود لبعض من وتره من بنى عمه يقال له كافور بن سلام رجاء إدراك نيله فضربه بسكين في لبته وهويريد ودجه فأوهنه ومرّ الأسود يشتدُ فاستأمن إلى عبد الملك فبشره بقتل زيرى فلم يصدّقه لثبوت يعلى بن محمد قدّامه إلى أن وقع الخبر على محمد فسقط في يديه وقهقر نحو زيرى يسأل به فأمكنت عبد الملك ومن معه الشدّة خلفه فاستمرّت الهزيمة على زيرى وحمله أصحابه شديد العلة وألحقوه بالصحراء إلى أن أفاق من جرحه فسار نحو صنهاجة وجرت له مع قوّادها الوقائع العظام ولم يزل متكرّراً بأرضها آخذاً بكظمها إلى أن انتقض عليه جرحه فهلك في سنة ٣٩١هـ.
وقال القسطلي: يذكر تجهيز ابن أبى عامر الجيوش إلى زيرى ابن عطية من كلمةً له طويلة:

لئن صديت الباب قوم ببغيهم	فسيف الهدى في راحتيك صقيل
فإن يحيى فيهم بغى جالوت جدّهم	فأحجار داود لديك منول
هدىً وتقىً يؤدى الظلام لديهما	وحقّ يدفع المبطلين كفيل
يجمع له من قائد النصر عاجل	إليه ومن حسن اليقين دليل
تحمل منه البحر بحراً من القنا	يروع بنيا أمواجه ويهول
بكل معالاة الشراع كأنها	وقد حملت أسد الحقائق غيل
ظباء سمام ما لهنّ مفاحص	وزرق حمام ما لهنّ هديل
سواكن فى أوطانهنّ كأن سمى	بها الموج حيث الراسيات تسيل
أراقم تنفرى ناقع السمّ مالها	بما حملت دون الغداة مقيل
إذا نفثت في زور زيرى حمانها	فويل له من ذكرها وألبل

وبثّ عبد الملك عماله في أعماله فاس فدان له أهلها وحملوا إليه

الخراج وأخرج محمد بن حسن بن عبد الودود السلمي إلى تادلا ومايليها فحملوا مالها وأنفذ حميد بن يصل الكتامي أحد وجوه قوّاد البربر إلى مدينة سجلماسة قاصية المغرب والياً عليها فملكها وأقام فيها الدعوة ثم عقدها واضح بعد قفول عبد الملك لوانودين بن خزرون وابن عمه فلفول الزناتيين على مال ضمنا حمله وعدّة من الخيل والدرق وأعطاه كلٌ واحد منهما على ذلك كله ابنه رهينةً واتصلت ولاية وانودين بسجلماسة وحمله ما ضمن إلى آخر الدولة.

ثم استقبل زيرى بن عطية من النكبة واجتمع إليه أصحابه واقتحم بلاد صنهاجة وقد اضطرب حبلها باختلاف كلمتها على باديس بن منصور بن بلقين الملك فيها بوفاة أبيه منصور وانتثر أكثر عمومته عليه مع ماكسن بن زيرى وغيره فأوغل زيرى في بلادهم فاتحاً لما قدر عليه واستحل فى ذلك كله بدعوة المروانية واستفتح لأول وقته من الظفر مكاتبة ابن أبى عامر يستقيله الزلة ويسأله العودة إلى الولاية ويبذل إنفاذ ابنه وابن أخيه رهينيه ويذكر أنه أقام الخطبة لابن أبي عامر وابنه فيما صار إليه من بلاد صنهاجة بعد دعائه للخليفة فقبل ابن أبي عامر ورضى وذلك في جمادي الأخيرة من هذه السنة.

وردّ ابن أبى عامر واضحاً ولياً على المغرب فى صدرٍ ربيع الأوّل وتقل عبد الملك وخلف معظم الجند مع واضح بفاس فاحتلّ سبتة مدينة المجاز يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الأول وكانت أيام ارتجاج فتلوّم على سكون البحر ثم ركب على توقع وهيبة لأربع ساعات من يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الآخر فوصل إلى مدينة الجزيرة فى أوّل الساعة الثامنة منه قطع البحر فى ثلاث ساعات على أهنأ الحالات وتلوّم على عبوره أصحابه أياماً قوى فيه ارتجاج البحر فطال التعجب من يمن طائره ووصل إلى قصره بالزاهرة وسط النهار من يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ربيع

الآخر من السنة المذكـورة وهى ٣٨٩هـ، واستقبله الناس على طبقاتهم من وجوه أهل الدولة وأكـابر أهل البلدة على مسافة بعيدة وكان دخوله فخماً بهياً وكان أبوه ذلك الوقت غازياً فى غزاته الموفية خمسين ببنبولنة ثمّ قفل بعد مدّة من قفول عبد الملك فتمت عليه النعمة.

وضبط واضح كور المغرب واستقامت على تدبيره وورد كتاب زيرى ابن عطية يذكر أنّ صنهاجة قد حشرت عليه من أقطارها بأفريقية وأعمال المغرب وقصدته في جمع عظيم فرئيسهم حماد بن بلقين عمّ سلطانهم باديس بن منصور ووزيره محمد بن أبي العرب وأنه لقيهم بوادى مينة على عشرين ميلاً من مدينة تاهرت فاشتدّت الحرب بينهم وأظهره الله عليهم فهزم جميعهم وقتل ألوفاً كثيرةمنهم واحتوى على محلتهم فحاز من ذلك ما يعظم قدره وملك مدينة تاهرت وما يليها ثنتين وأعمالها وأقام الدعوة فى ذلك كله للعامريين بعد الخليفة ثمّ زحف بعد هذا بجمعه إلى مدينة أشير قاعدة صنهاجة وأناخ على بابها محاصراً لها فظهر عليهم، واستأمن إليه فى هذا الوقت زاوى بن زيرى ومن معه من أهل بيته المنازعين لباديس رئيسهم وباديس مشغول عن ذلك بما اتفق عليه من حرب فلفول بن سعيد الزناتي المنَزى عليه بأعلى عمله وخروجه بنفسه لحربه، ثم دعا أبو البهار للخليفة هشام ولابن أبى عامر وأنفذ رسوله إليه يذكر قديمه ويشيره بحديثه ويلتمس معونته وكانت موافاة رسوله منسلخ شوّال سنة ٣٨٩هـ فعلم ابن أبى عامر غدره وسرّف به، وابن عطية فى ذلك كله محاصراً لا شير آخذاً بكظمها يغادى من بها القتال ويروحهم فإن قعدوا عنه عمد إلى قبورهم الماثلة ببابهم فيعرض لنبشها فلا يصبرون على ذلك ويخرجون لمنعه إلى أن أحضرت منية ابن عطية وقويت علته فانحاز عنهم ورجع إلى المغرب سنة ٣٩١هـ كما ذكرنا قبل وأجمع أصحابه على ولده المعزّ بن

زيرى فضبط أمرهم وأقصر عن منازعة صنهاجة واستحذى لابن أبى عامر وارتبط بالدعوة المروانية فصلح أمره عندهم إلى أن قلده عبد الملك فاساً وجميع أعمال المغرب على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وانتدب للذبّ عن بلاد صنهاجة حماد بنُ بلقين بن زيرى بن مناد وقد أفرده ابن أخيه باديس بولايتها فشدّها وحسن ميثاقه فى دفع زناتة عنها وافتقد لنفسه هنالك ملكاً فلم يعد إلى أرض القيروان بهدا واتصلت أيامه إلى وقت الفتنة الحادثة بالأندلس وذلك بعد الأربعة عشر والأربعمائة، فورث ولده الأمر بعده إلى هذا الوقت.

وأخذ واضح نفسه وهو إذ ذاك بمدينة فاس لغزو كفار برغواطة فيمن قبله من الأجناد ومن اجتمع إليه من أمراء النواحى ومن أهل الولاية فعظم القتل فيهم والسبى منهم ووردت كتب الفتوح فقرنت على المنابر، وانصرف واضح عن المغرب مشكور السعى جميع الأثر وذلك فى شهر رمضان سنة ٣٨٩هـ وردّه مولاه إلى ولايته بالشكر وقد بعد صيته وعلا اسمه، وخلف واضح على مدينة فاس عبد الله بن يحيى بن أبى عامر أخى المنصور ثم تلاه إسماعيل بن البورى ثم أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى وغيرهم إلى أن توفى محمد بن أبى عامر فصرفها عبد الملك إلى المعزّ بن زيرى بن عطية وقد استحكمت ثقته به وحسن رأيه فيه وضمنها عليه سنة ٣٩٩هـ على إيثاره من الخيل والسلاح فحملها إلى الحضرة وقبض على ولده معنصر رهينة فاستقامت طاعة المعزّ وأقام ابنه بقرطبة إلى أن نشأت الفتنة وانقرضت الدولة العامرية فانصرف معنصر إلى أبيه ومضى أبوه على رأيه فى مولاة من ظهر بالأندلس من المروانية إلى أن هلك بعد صدر من الفتنة وأورث ولده ملك فاس فهم على ذلك إلى اليوم، انتهى كلام ابن حيان رحمه الله.

ذكر بعض أخبار
زيرى بن عطية المغراوى وابنه المعز

قال أبو مروان عبد الملك بن موسى الورّاق فى كتابه الذى سماه بالمقياس فى أخبار المغرب وفاس:

لما توجهت الهزيمة على زيرى بن عطية المغراوى المكنى بأبى يوسف الملقب بالقرطاس هزمه المظفر عبد الملك بن محمد بن أبى عامر المنصور غايّ من أرض المغرب وفرّ إلى بلاد المشرق وجعل يغار صنهاجة فى بلادها ويسجيها وأقام على مدينة أشير شهراً محاصراً لها بعد ما دخل من بلاد الزاب الأسفل كثيراً وأقام بها الدعوة للخليفة هشام ولحاجبه محمد ابن أبى عامر ولابنه عبد الملك الملقب بالمظفر ووجه إلى ابن أبى عامر يذكر صحة طاعته وصدق إنابته وصحّ ذلك عند محمد بن أبى عامر وقد وصله بذلك ثقته الحاجّ دقاق وقاضيه فتوح بن الأزرق فتقبل ابن أبى عامر كتابه وأحسن موعده.

قال: كان زيرى بن عطية يوماً محاصراً لموضع من مواضع صنهاجة وقد احتجروا عنه فى حصنهم إذ دخل عليه فى مضربه عبدٌ من عبيده فأخبره أن قافلة نزلت قريباً بمنزل من المنازل أقبل فيها قومٌ من الأندلس صدروا من الحجّ فقال للغلام: «سرْ إليهم وأبلغهم سلامى وقل لهم عسى أن يتفضلوا ويصلوا إليها نسألهم عن الأخبار.» فوصل إليهم الغلام فبلغهم سلامه وذكر لهم وصيته فقاموا من بينهم فوصلوا إليه فأذن لهم فى الدخول فى مضربه ورحب بهم وأنسهم ثمّ سألهم عن الأخبار فأجابوه بما عندهم ثمّ سألهم عن مغيبهم فى سفرهم فذكروا مدّةً فقال زيرى بن عطية: «إنا لله وإنا إليه راجعون! مشيتم من الأندلس وقضيتم حجكم وانصرفتم ونحن كاسعون فى هذه الحروب التى تركتمونا فيها! فإنا لله

وإنا إليه راجعون على ما أصابنا في أدياننا!» ثمَّ عطف علينا وقال لنا: «أفيكم من أهل قرطبة أحد؟» فقال له أحدنا: «أنا فلان بن فلان من موالى الخليفة الحكم.» فقال لى: «سميتُ بأبيك حين كنتُ بها.»

ثمّ عطف على الجماعة وقال لنا:« الحمد لله يا معشر الأندلس الذى جعل الهزيمة علينا معشر البرابر عبيد الدنيا ولم يجعلها عليكم! فكان يستأسر العدوّ وتخرب الجزيرة ولكن الله أنصرُ لدينه وأحوطُ على أمة محمد نبيه ﷺ!» ثمَّ قال للرجل القرطبى:« قد وجبت ضيافتك علينا وليس عندى ما نرضى لك به من المال إلا ما بأيدينا من هذه النهاب وليس يمكن أن تصدر عنا دون حِباء وصلة ولكن والله ما بقى لى مما وهب لى مولاى هشام أمير المؤمنين سوى تلك البغلة خذها وانصرف» ! قلت له : «لا يكون ذلك أنا فى غِنى عنها. » قال: « لابدّ من ذلك!» فأخذتها وانصرفت وإنَّ ثمنها هو الذى أبلغنى إلى الأندلس! فانظر إلى عقل هذا البربرى ومعرفته وما مُن النطنة والذكاء.

ولم يزل زيرى بن عطية منانتاً لصنهاجة وعابثاً فى ديارهم وبلادهم إلى أن قويت علته واشتدت فانصرف إلى بنى عمه وقَضَى نحبَه،ونصبت زناتة بعده ابنه المعزّ فانصرف!» عن مطالبة صنهاجة واقتصر على مابيده وكاتب المظفر بن أبى عامر واستحذى له وأناب من ذنوبه وتاب من خطاياه ورغب إليه أن يتقلده بلاد المغرب فأجابه إلى ذلك على إيثاره من المال وعدةً من الخيل وأحمال من السلاح والدرق وغير ذلك مما تدعوه الضرورة إلى احتياجه باء بجميع ذلك المعزّ وأطاع به على أن يكون ولداه حمامة ومعنصر رهينة عنده بقرطبة فكتب إليه بذلك عهده ووافاه به وزيره وخاصته أبو محمد بن على حدلم، ونسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد نبيه، من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الإمام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور ابن أبى عامرإلى كافة مدينتى فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله، أما بعد أصلح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم، فالحمد لله علام الغيوب، وغفار الذنوب، ومقلب القلوب، ذى البطش الشديد، المبدى المعيد، الفعال لما يريد، لاراد لأمره، ولا معقب لحكمه،بل له الملك والأمر، وبيده الخير والشر، إياه نعبده وإياه نستعين فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وعلى جميع النبيين والمرسلين، والسلام عليكم أجمعين. وأن المعز بن زيرى بن عطية أكرمه الله تابع لدينا رسله وكتبه ومتنصلاً من هنات، دفعته إليها ضرورات. ومستغفراً من سيئات،حطتها من توبته حسنات، والتوبة محا للذنب. والاستغفار منقذ من العتب، وإذا أذن الله بشئ يسره، وعسى أن تكرهوا شيئاً ولعل لكم فيه خيره، وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة، واعتقاد الاستقامة، وحسن المعونة، وخفة المونة. فوليناه ما قبلكم، وعهدنا إليه أن يعمل بالعدل فيكم، وأن يرفع عنكم أحكام الجور وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم إلا فى حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى به شهيداً، وقد وجهنا الوزيرأنا محمد بن على بن حدلم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ ميثاقه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك وأمرناه بإحضاركم ذلك وإشراككم فيه ونحن بأمركم منعلقون ولأحوالكم مطالعون وأن يقضى على الأعلى للأدنى. ولا يرتضى فيكم بشئ من الأذى. فثقوا بذلك واسكنوا إليه، وليقض القاضى أبو عبد الله أكرمه الله أحكامه مشدوداً ظهيره بنا. معضوداً سلطانه بسلطاننا، ولا تأخذه فى الله لومة لائم فذلك ظننا به إذ وليناه، وأمنا فيه إذا قلدناه. والله المستعان، وعليه التكلان. لا إله إلا هو.تبلغوا منا سلاماً طيباً جزيلاً ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم. وكتب فى ذى القعدة من سنة ٣٩٧هـ.

ولما وصل إلى المعز بن زيرى عهده بولاية المغرب سوى مدينة سجلماسة فإن واضحاً الفتى عقدها قبل ذلك حين ولايته بالمغرب لوانودين وسعيد بن فلفول الزناتيين المعزاويين فلم تدخل فى هذا العقد فلما وصلت إلى المعزّ هذه الولاية ضم نشره وقويت نفسه وتاب إليه نشاطه وبثّ عماله بجميع المغرب وجبا الخراج ولم تزل الولاية بالمغرب مستقيمة وطاعة أهله منتظمة إلى أن مات المظفر وولى أمر الحجابة عبد الرحمن بن أبى عامر وذلك فى أوّل سنة ٣٩٩هـ فجرى من أمره ماذكرناه قبل ذلك وانخرمت الإمامة وتفرّقت الجماعة وانهدمت الدولة المروانية وصار أمر الناس بجزيرةالأندلس شنيعاً، ولما كانت الطاعة بالأندلس واحدة وإمامهم واحداً تشتت الناس بالمغرب كفعلهم بالأندلس وانتزى بعضهم على بعض وخلفت القبائل، وأقام المعزّ بن زيرى على اضطراب من أمره إلى أن وافته منيته فى سنة ٤١٧هـ.

وورث أمره من بعده ابنه حمامة بن المعزّ واضطربت عليه الأمور وإن رام أن يوثق شيئاً فكان يفتق وغز لسجلماسة للقائمين بها فهزموه وكسروا عسكره وانصرف إلى مدينة فاس مفلولاً منكوباً ولم تزل أموره تضطرب دولته تتقلص،وكانت مدينة فاس فى أيامه راخية ساكنة ينتابه الشعراء ويتصده القاصد من الأندلس إلى أن نبا به زمانه وخانه دهره فقضى أجله فى سنة ٤٣٣هـ.

وولى الأمر من بعده دوناس أبو العطاف فانتزى عليه ابن عمه حماد ابن معنصر وجرت له معه حروب ووقائع كثيرة حشد عليه القبائل مع من كان معه من بنى عمه وحاصره بمدينة فاس، وحفر السياج المعروف بسياج حماد وقطع ماء الوادى عن مدينة فاس القرويين، ولم تزل أمور زناتة تضعف ودولتهم تنتقص إلى أن حلّ بأرض المصامدة عبد الله بن ياسين القائم بأمر لمتونة فاضطربت أيامهم وجلا المغرب من كثرة جورهم وفسادهم وانتزى بعضهم على بعض فإنه كان من عداوة الأندلس مأمن المنتزين لأنفسهم، انتهى كلام أبى مروان الورّاق رحمه الله.

ذكر ثوار المغرب ورؤسائه وبعض ملوكه

قال الشيخ أبو عبد الله بن حمادوه السبتى فى كتابه الذى سماه المقتبس(*) فى أخبار المغرب وفاس والأندلس:

لما اختلت دولة أمية بالأندلس ثار قوم من البربر بالأندلس ودعوا لأنفسهم وخلعوا الطاعة، أولهم إسماعيل بن ذى النون وقد ذكر جماعة من أهل التواريخ أن أصلهم من البربر الذين كانوا يخدمون بجزيرة الأندلس قديماً وأن اسم جدهم ذنون فتصحف بطول المدة، وهذا الاسم شاع فى قبائل البربر، وقد قيل إنهم من قحطان والله أعلم.

وملك إسماعيل بن ذى النوان[1] مدينة طليطلة وأحوازها وما اتصل بها من بلاد الجوف والشرق إلى بلنسية وبقيت هذه البلاد بيده وبيد أولاده وأحفاده إلى أن أخرجهم الروم منها وذلك فى سنة ٤٨٠ھ وكانت ثورة إسماعيل سنة ٤٠٩هـ.

ومن ثوار البربر بالأندلس زاوى بن زيرى[2] بن مناد وابنا أخيه حباسة وحبوس اقتطعوا بلاد البيرة وغرناطة وجيان ومالقة والمنكب وذواتها وما اتصل بها من بلاد الموسطة والحصون والقلوع وذلك فى أول الخامسة من المائتين.

وبقيت هذه البلاد بأيدى هؤلاء الصنهاجين إلى أن غلبهم عليها أبو يعقوب يوسف بن تاشفين فسلبها من أعقابهم عبد الله وتميم وجوزهما إلى العدوة وبعث عبد الله إلى أغمات وتميما إلى نول وأخذلهما من الأموال والذخائر والعدد ما يفوت الحصر وذلك فى سنة ٤٨٢هـ.

(*) لا زال هذا الكتاب مخطوطة

(١) انظر: التفاصيل فى الذخيرة السنية لابن بسام

(٢) انظر: التفاصيل فى البيان المغرب لابن عذارى

وممن ثأر من البربر بنو بزرال وأميرهم محمد بن عبد الله البرزالى(١) قال أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق فى كتابه: بنو برزال فخذ من زنانة من بنى يفرن كانوا قاطنين بالزاب الأسفل(٢) من إفريقية فوصفوا لأمير المؤمنين الحكم رحمه الله بالشدة والشجاعة فى الحروب فأمر بمكاتبتهم فكانوا جنده يخدمون فى عسكره إلى أن توفى ابن أبى عامر(٣) وتفرقت الجماعة وانشقت العصا وصار أمر المسلمين شنيعاً فكسحوا فى الحروب والفتنة والنهب كما فعل غيرهم، واستقرارهم آخراً بقرمونة وذواتها وأحوازها وما اتصل بها وملكوا من حولهم من الرعية وصيروهم عبيد العصا كما فعل غيرهم بمن يواليهم ويجاورهم وذلك فى أول المائة الخامسة.

قال أبو مروان الوراق رحمه الله: لما كثر ظلم هؤلاء البرابر وطغيانهم وعبثهم وفسادهم أرسل الله عليهم المعتضد بن عباد فلم تزل الحرب تأكل فرسانهم وأبطالهم وشجعانهم إلى أن تجنلوا بالعدوة فكانت رئيسهم العز ابن إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى المأمون يحيى بن ذى النون لينزل له عن قرمونة وجميع بلاده ويعطيه فى بلاده غيرها عوضاً عنها إذ لم يستجيز أن يعطيها لابن عباد لأنفه العداوة فإنهم له بذلك وأخلاها فاضطربت أيامهم وانقرض أولهم وآخرهم.

ومن ثوار البربر بالأندلس أبو نور بن أبى قرة اليفرنى قال أبو مروان: وكان سبب جوازبنى يفرن مهلك أميرهم يدو بن يعلى بيد جوهر قائد معد بن إسماعيل المنصور بن عبد الرحمن القائم بن محمد المهدى وفتكه به فى عسكره بناحية شلف فهربت بنويفرن ولحقوا بالأندلس فكانوا

---

(١) انظر: التفاصيل فى طبقات مشايخ المغرب للدرجينى

(٢) انظر: التفاصيل فى البيان المغرب لابن عذارى

(٣) ورد هذه الواقعة فى المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد

يخدمون فى عسكر محمد بن أبى عامر فأقاموا بالأندلس إلى أمد الجماعة ونزول الفتنة المبيدة فكسحوا فى الفتنة كما فعل غيرهم واستقر أمرهم آخراً بمدينة رندة وأحوازها وبلاد شذونة وتاكرنا ومورور.

واستولوا على هذه الحصون حتى أجلاهم منها المعتضد بن عباد بالغدد والمكر وقتل رؤساءهم فى الحمام فى أخبار طويلة وذلك فى سنة ٤٤٨هـ.

ولما ذكر ابن حيان ثوار البربر وفتنتهم قال: وهذه نادرة من هيجان هذه الفتنة البربرية المبيدة أن تخطت أرض هذه الجزيرة إلى ماوراء بحرها الزقاقى الذى كان منه دخول المغرب أيام فتحهم لهذا الصقع هاجها سقوط البرغواطى المتغلب على مدينة سبتة فأصبح وقد جلت شمس سلطانه فيها الحمل، وقام وزن زمانه بها واعتدل، وتسمى لأول وقته من الأسماء السلطانية بالمنصور المعان وأسسى فى قران أغمص عليها الزمان، فساء غلظة فى نفسه وغلط أمره حتى أخاب القريب والنازح، واقتلد الحروب والجامع وانبثت سراياه فى البر والبحر فأدرك المطلوب الطالب، وتصيد الطافى والراسب. انتهى كلام ابن حيان وستأتى أخبار هذا الملك البرغواطى بعد إن شاء الله تعالى والله المستعان لارب غيره ولا معبود سواه.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن حمادوه السبتى فى كتابه الذى اختصر فيه أخبار المغرب.

لما أهلك الله المنصور بن أبى عامر ثار قوم بالمغرب منهم زيرى بن عطية المغراوى الخزرى وجده خزر بن خنص بن صولات أسلم بين يدى عثمان بن عفان رضى الله عنه فكانت بنو أمية تقدم بنى خزر على قبائل البربر، وقد ملك زيرى بن عطية مدينة فاس وأعمالها ثم ملكها ابنه حمامة ثم ملكها ابنه المعز إلى أن توفى فملكها ابنه دوناس. وفى أيام دوناس تمدنت مدينة فاس وقصدها التجار وكان تأسيس مدينة فاس سنة ١٩٣ أسسها إدريس بن إدريس حين هرب للرشيد، وغلب هؤلاء الخرزيون على كثير من بلاد المغرب وأفريقية وسجلماسة وأعمالها

وتاهرت وأحوازها وكان بنيان تاهرت في سنة ١٤٤هـ من الهجرة أسسها عبد الرحمن بن رستم الأباضي الخارجي.

ومن ثوار البربر تميم بن زيرى اليغرنى ثار بسلا وملك مدينة فاس فى بعض الأوقات وتميم أمير بن أمير وكان قبل ظهور المرابطين بيسير. وأما برغواطة فإن الكلام عن أخبارهم يطول وأصل إمامهم الذى شرع لهم ديانتهم وهو صالح بن طريف من وادى برباط من الأندلس فقيل لكل من دخل فى ديانتة بربرطى فأحالته العرب بألسنتها فتالت برغواطى وكان برغواطة فى سنة ١٢٧هـ فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان واستقر ملكهم آخراً بتلمسان وهم فى الأصل من زناتة ولم يزل الملك فيهم إلى أول ظهور الملثمين وخروجهم من الصحراء مع عبد الله بن ياسين وآخر ملوك برغواطة الحاجب صاحب سبتة وطنية وسيأتي خبره فى هذا المجموع إن شاء الله، ومن اراد الوقوف على أخبار ملوك برغواطة فليرجع إلى الكتب المصنفة فى أخبارهم.

وثار بأغمات المصامدة وأكبر من ثاربها قديماً ميسرة المطفرى وفتنتة أول فتنة وقعت فى المغرب فى الإسلام وذلك فى سنة ١٢٢هـ فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان.

ومن ثوار البربر فى المغرب مهدى بن توالى بن سرجم اليجعنشى، وبنو يجعنش فخذ من زناتة وكانت ثورته بالقلعة المنسوبة إليه بغازاز بقى فيها ثائراً إلى أن غلبه عليها أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بعد حروب طويلة.

ومن الثوار بالمغرب من البربر موسى بن أبى العافية[1] المكناسى، ومكناس اسم رجل وهو مكناس بن ورصطيف بن يحيى بن ثمزيت أخو زناتة .

---

(١) انظر ترجمة فى: البيان المغرب، والمغرب فى حلى المغرب، والمعجب للمراكشى

وملك موسى بن أبى العافية تازا وتسول وملوية ووجدة وكانت له حروب ووقائع مع الشيعة ومع الأدراسة وتوارث الملك فى عقبة من وقت عبد الرحمن الناصر إلى ظهور الملثمين.

قال الفقية العلاقة أبو عبد الله محمد بن أبى المجد فى كتابة فى أنساب البربر(*) وملوكهم.

كان فى مكناسة رؤساء منهم أبو القاسم سمقو بن واسول[1] المكناسى الصفرى مقدم الصفرية بالمغرب لقى عكرمة[2] مولى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وحدث عنه ثم اجتمحت عليه الصفرية بالمغرب وقدموه وملك مدينة سجلماسة التى أسسها جده عيسى بن يزيد الصفرى سنة ١٤٠هـ.

ذكر ذلك عريب بن سعد[3] فى تأريخه وتوارث الملك بنوه من بعده سجلماسة حتى انتهى إلى مدرار بن اليسع بن أبى القاسم المذكور واسمه المنتصر ومدرار لقب غلب عليه وهو جد بنى مدرار الملقب بالشاكر لله فتسمى بالخلافة وخطب بها إلى أن زحف إليه جوهر قائد جيوش المعز فغلب على ملكه.

قال أبو محمد بن حزم [4] فى كتابه «نقط العروس»: كان الشاكر لله فى غاية من العدل وإليه تنسب الدراهم والمثاقيل الشاكرية واسمه محمد بن ميمون بن الفتوح بن مدرار وكان بعد الثلاثمائة .

(*) لازال هذا الكتاب محطوطة

(١) انظر: التفاصيل طبقات مشايخ المغرب للدرجنى

(٢) انظر: التفاصيل تهذيب التهذيب. طبقات الفقهاء للشيرازى

(٣) انظر: التفاصيل صلة تاريخ الرسل والملوك للطبرى- طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.

(٤) قام الدكتور شوقى ضيف بتحقيق هذا العمل وصدر فى مجلة كلية الآداب - القاهرة ١٩٤٦م

وممن ثار بالمغرب من البربر قديماً أبو المغيلى ثار بتلمسان سنة ١٢٩هـ وبقى أربعين سنة يسلم عليه بالخلافة وملك كثيراً من بلاد المغرب وبلاد مغلية بجبل وانشريش من عمل تاهرت وبالمغرب مما يلى تامسنا، ومغيل اسم رجل وهو مغيل بن فاتن بن جانابن يحيى أبو زناتة.

ومن ثوار البربر بالمغرب أبو حاتم يعقوب بن لبيب المغيلى ثار سنة ١٥٠هـ وغلب على المغرب كله وإفريقية كلها وفتح مدينة القيروان وبلغت عساكره من الخيل خمسة وثمانين ألف فارس ومن الرجال ثلاثمائة ألف راجل وخمسة عشر ألف وذلك وقت تغلبه على القيروان ذكر ذلك خالد يزيد بن خداش فى تأريخ إفريقية.

ومن ثوار البربر أبو يزيد مخلد بن كيداد[1] ونسبه يرتفع إلى جالوت ويتصل به. قام على الشيعة سنة ٣٣٢هـ وله معهم حروب عظيمة ووقائع مشهورة وغلب على القيروان وهو من بنى يفرن، ويفرن اسم رجل وهو أخو مغراو وثوار بنى يفرن أكثر من أن يعدوا.

ومن رؤساء البربر حباسة بن يوسف الكتامى وهو الذى فتح الإسكندرية لعبد الرحمن القائم بن إسماعيل المنصور بن محمد المهدى العبيدى، ذكر الفرغانى أنه نزلها بمائتى مركب فى البحر فلما فتحها انتقل منها إلى الصعيد فبعث المقتدر العباسى لمحاربته بكير التركى فى جيوش عظيمة وأمره لبوس الكحل فكانت بينهما وبين البربر حروب عظيمة ووقائع مشهورة ذكرها الفرغانى فى تأريخه وبسط القول فى وصفها وأطنب فى شرحها.

ومن روساء البربر أبو حد والكتامى كان أحد قواد الشيعة أيام

(١) انظر التفاصيل فى البيان المغرب لابن عذارى- طبعة بيروت بدون تاريخ

حصارهم لمدينة الفسطاط وذلك قبل بنيان القاهرة بنحو من خمسين عاماً فإن جوهراً الرومى[1] قائد جيوش المعز هو الذى بناها.

قال المسبحى فى تأريخه الكبير: لما برز أهل مصر لعقد الصلح بينهم وبين جوهر قائد جيوش المعز التقى معهم بقصور ابن طولون الخربة فقال لهم فى كلام جرى بينهم وبينه: «آخر ماقال لى مولاى المعز عند وداعى له بالقيروان: انهض ياجوهر فإنك تستفتح لنا مصراً وتبنى فى خرابات ابن طولون مدينة تسميها القاهرة تقهر بها الدنيا.

فى حديث طويل ذكره المسبحى[2] فى تأريخه الكبير. رجع الحديث إلى أبى حدو الكتامى. قال الفرغانى: لما طال القتال على حباسة الكتامى قائد البربر هرب أبو حدو الكتامى ودخل مصر واستامن إلى بكير التركى قائد عسكر أمير المؤمنين وكانوا نحواً من مائتى فارس من شجعان البربر وأثبتهم فى الديوان وأجرى عليهم الجرايات الواسعة فأقام أبو حدو وأصحابه ببغداد حتى بعثهم المقتدر إلى الدينور مدداً وذلك فى سنة ٣٠٣.

وممن شهر بالرياسة من البربر أبو الميمون عروبة بن يوسف الكتامى ولى جميع بلاد المغرب كلها لعبيد الله المهدى الشيعى وكتام اسم رجل هو كتام بن برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح وكان فى كتامة عدة ملوك ورؤساء مشاهير ولهم أخبار وحروب مشهورة فى التواريخ.

وممن ملك المغرب مناد بن منقوش الوتلكانى الصنهاجى ملك إفريقية والمغرب. وصنهاج اسم رجل وهو صنهاج بن يصوا بن ميسور ونسبه يرتفع إلى يعرب بن قحطان ذكر ذلك أبو جعفر الطبرى وأنكر غيره من أهل العلم بالأنساب اتصال نسب صنهاج لحمير والله أعلم.

---

(١) انظر التفاصيل فى البيان المغرب لابن عذارى والمغرب فى حلى المغرب

(٢) انظر ترجمته فى الزركلى

فولد صنهاج أنجف وإليه ينسب بنوكنفوا وكان فيهم روساء وملوك فمن مشاهير ملوك صنهاجة زيرى بن مناد ملك وهو وبنوه مائتى سنة متصلة وهم الذين بنوات بجاية والجزائر ومليانة والقلعة المنسوبة إليهم وكان آخر ملوكهم بإفريقية يحيى بن العزيز وعليه دخل الخليفة عبد المؤمن بن على بجاية وأعطى له الأمان ووصل معه إلى مراكش وتوفى بسلا سنة ٥٥٧ه ودفن بالمقابر الجوفية وقبرة مشهور بها. وآخر ملوكهم بالأندلس عبد الله الملقب بالمظفر وقد تقدم ذكره ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسيرهم فليطالع كتاب الديباجة فى أخبار صنهاجة وكتاب النبذ المحتاجة فى أخبار صنهاجة وكتاب أبى الصلت الذى ألفه للحسن صاحب المهدية وعبد الله المظفر المتقدم الذكر هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن ويرتفع نسبه إلى مناد بن منقوش وعليه دخل يوسف بن تاشفين غرناطة وقد تقدم ذكر ذلك.

ومن ملوك صنهاجة لمتونة وهو صحراويون ملوك المغرب والأندلس خرجوا من الصحراء بعد ٤٠٠ من الهجرة وهم بنو تاشفين من بنى ورتنطق والرياسة والملك منزلتهم فى لمتونة كمنزلة بنى مناد فى وتلكاتة وأول ملوكهم فى صحرائهم يحيى بن إبراهيم من قبيل جدالة، قال أبو عبد الله بن أبى المجد فى كتاب أنساب البربر: «جدالة من صنهاجة وإخوتهم لمتونة وكان فيهم رؤساء فى القديم وهن صحراويون أيضاً ولهم بطون ضخمة وأحمى جمة وبلادهم آخر بلاد المسلمين مما يلى أرض السودان وهم يحاربونهم ولهم بأس ونجدة، وبعده يحيى بن عمر وبعده أبو بكر ابن عمر أخوه وولى أبو بكر هذا يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب قائداً ناموس الشريعة، وإمامهم الذى ينقادون له عبد الله بن ياسين ابن مكو الجزولى ومنزلته عنده كمنزلة المهدى عند الموحدين وشيخه واجاج بن زلو صاحب الفقيه أبى عمران الفاسى، وفى سنة ٤٤٩هـ غزا عبد

الله بن ياسين مدينة أغمات واستولى علـى بلاد المصامدة سنة ٤٥٠هـ وقتل ببلاد برغواطة سنة ٤٥١هـ بموضع يسمـى كريفلة فى أخبار طويلة وحروب مشهورة ولم يقتل عبد الله بن ياسين حتـى استولى على سجاماسة وأعمالها ودرعة والسوس وأغمـات ونول والصحراء وله أحكام وسنن فـى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يقدمون الصلاة الامن صلى خلفة.

وذكر أبو مروان عبد الملك بن موسى الورّاق فـى كتابه المسمى بالمقتبس فى أخبار المغرب والأندلس وفاس قال:

وفى سنة ٤٦٤هـ غزا يوسف بن تاشفين زنانة وكانـوا على غايـة من الظلم ونهاية من الجور والتعدّى والاستباحة للظلم والفسوق وقطع الطرق فداموا علـى ذلك إلى أن حان حينهم وطهر الله الأرض من رجسهم وكان أشدهم فى ذلك توالى اليجنشى وابنه مهدى فحاربهـم أبو يعقوب يوسف ابن تاشفين حتى دخل على قلمتهم المنسوب إليهم ثمّ غزا سدراتة وفندلاوة وقتل أصحاب صيفرو دخـل مدينة فاس ودوّخ ما مـرّ عليه من البلاد إلى وطاط إلى ملوية إلى وجدة وجرى بينه وبين ملوك تازا حرب صعبة بحصن الداد مع القـاسم بن أبى العافيـة فهزمه القاسـم وكرّ عليه يوسف فـى السنة الثانية فهزمه وقتله بأقرسيف، وفى سنة ٤٧٥هـ شرع يوسف بن تاشفين فى بنيان مراكش وشرع ابنه على فى بنيان سورها سنة ٥٢٢هـ بإشارة الفقيه المشاور أبى الوليد بن رشد ومشهده فإنّ على ابن يوسف استوفده من قرطبة لعقد البيعة لابنه تاشفين بن علـى فقال له الفقيه أبو الوليد: لا يحلّ لك سكنـى هذه المدينة دون سـور والعدوّ قريب منـك، يريد بالعدوّ والله أعلم المهدى وعبد المؤمن فبلغ الإنفاق فى السـور نحو السبعين ألف دينار وفى الجامع نحـو الستين ألف دينـار وكانت من قبل ذلـك سبنية بالطوب. وفى سنـة ٤٧١ه نهـض يوسـف بن تاشـفين لـقتـال سقوت البرغـواطى وابـنه أصحاب سبتة وطنجة.

قال ابن بسام فى كتابه الذخيرة له:

ولما نجم أمير المسلمين فى لمتونة وأحاطت دولته بالفرق، أحاطة القلادة بالعنق، ودبت فى مماليك العرب والعجم، دبت البرء فى السقم، وطفق يتبع آفاق جورهم بالعدل تتبع الديمة آثار المحل، ويسبق بالعمل سبق السيف العدل، وتجاوزوا إلى مصارعهم حتى لحق متبوعهم بتابعهم، وانتظم دانيهم بشاسعهم، ودارت النوبة على سقوت البرغواطى فتطوف أمير المسلمين رحمة الله بلده للفراغ ممن شدّ عنه من ذؤبان زناتة وقد التقوا بأحد مجاش النتنة، وآلوا إلى موضع يدعى بالدمنة، فنزل بساحتهم أمير المسلمين سنة ٤٧١ه على مقربة من بلاد سقوت فتضيقه لا من خلة، وأراد أن يكثر به لا من قلة، فهم بالانحياش إليه فنهاه حزبه الدميم الشقى، وثناه ابنه التائل الرأى، فقد كان هذا النتى على بعد مرامه ولأدعية زعموا كانت فيه يذهب الجبابرة من ملوك الطوائف عندنا من الأعراض عن العواقب، وأخذ الشاهد عياراً على الغائب، أين ما هو فيه، لا يحمل بشئ قدره ولا يأتيه، ووضحت لأمير المسلمين رحمة الله السبيل إلى حربه، لما كان من مفارّه عن قرب وانشبانه لأوّل وهلة عن حزبه. فلما أوقع بأهل الدمنة رمى سقوت البرغواطى بأقماره ونجومه، وأحله وجوه همته وهمومه، والبلاد تنتقد لحكمة. والمنابر تكاد تهلك باسمه. واسم الرعية بمقدمه. فانثالوا عليه انثيال الجياع على الوليمة. وتباشروا به تباشر البلد التيهاء بالديمة. وخرج سقوت فى عديده وعدده. للذبّ زعموا عن رعيته وبلده. وأقسم أن لا يسمع قرع طبلة فى ملكه وعساكر أمير المسلمين يومئذ على مقربة من مدينة طنجة وعليها من قبيل سقوت ابنه المسمى بضياء الدولة فلقى عساكر المرابطين وقد سالت بها سيولهم. وشارفها لواهم ورعيلهم. وأقام بازائهم يومين والإبل تعجبه والخيل تسلبه إلى أن طحنته رحاهم وسالت نفسه على أسنتهم وظماهم. يوم الكسوف الشمسى الكلى من العام المؤرّخ.

ودخل المرابطون طنجة ذلك اليوم وأفضت الدولة البراغواطية إلى الحاجب المعزّ بن سقوت شهاب أفلاكها، وخيرة أملاكها، ألهب اللهب ريحا، ونفخت دولته في أهله ريحا، أعوض به الشعراء وأطالوا، ووجدوا به السبيل إلى المقال وقالوا، وممن خيم في داره ونال الحظّ الجسيم من دنياه الحصوري الضرير الشاعر فإنّ له فيه ما اغنى الناظر عن الرقاد، وأغشى المسافر عن الزاد، والحاجب يكحل عينه بزينة دنياه، ويختق لهافة بمواهبه ولهاه، وكان سهل الجانب لقصاد، طلق اليد بالمواهب الأفراد، من رجل استعان بالشرّ، وتهاون بالأمر، لا يحيى إلا من غلول، ولا يجيش إلا ابن سبيل، لا سيما البحر فإنه أضرم بلججه ناراً، ولتارحه إعصاراً، أخذ كلّ سفينة غصبا، وأصناف إلى كل رعبا، فضجت منه الأرض والسماء، والتقت الشكوى عليه والدعاء، وأذن الله لأمير المسلمين فأناخ بعقوبته، وحكم مداه بين سنانه وذروته.

وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ المعتمد بن عباد سفينة صناهى بها مصانع الملوك القاهرة بن بَعْدَ العهدُ تمثلها شدّةَ أسْر، وسعة بطن وظهر، كأنها بناها على الماء صرحاً ممَّردا، وأخذ بهاَ علىَ الريح ميثاقاً مؤكداً، وجهها إلى مدينة طنجة للثمار، وقد أنجد أمر الله وغار، ولما رأى أمير المسلمين تلك السفينة وأقيمت بإزائها وسورها حصناً منيعاً، فلما كان يوم الخميس من صفر سنة ٤٧٦ قدّم أمير المسلمين لقتال سبتة أسطولاً طالما واسع البلاد شراً. وملأ قلوب أهلها ذعرا. فكان لأول ذلك اليوم ظهر على أسطول المرابطين حتى أخذ منه قطعة جليلة المقدار. ظاهرة الحماة والأنصار. فارتاعت حلة المرابطين لأخذ تلك القطعة حتى هموا بالإحجام. وقوّضوا بعض الخيام. وغضب أمير المسلمين رحمه الله إحدى غضباته فكانت إياها. وفغرت على سبته فاها. وتقدّمت تلك السفينة على أسوارها. ورفعت صوتها ببوارها. وافضت بدولة صاحب سبتة إلى سوء

قرارها. ليلة الجمعة من صفر المؤرّخ فلجأ المعزّ بن سقوت إلى البحر فهمّ بركوبه فأعوره الفرار، ودفع في صدره المقدار. وكرّ راجعاً فدخل داراً تعرف بدار شوبر وبدربه جماعة من المرابطين فاقتحموا عليه بعد مرام وقتال شديد حتى صناق اضطرابه. وفرّ عنه أصحابه. ولما أحسّ بالشرّ ودفع ذخائر كانت عنده إلى بعض أصحابه فبلغنى أنه عثر عليها فوجدوا فيها جوهراً كثيرا. ونشباً من نشب الملك خطيرا، ووجد فى جملتها خاتم يحيى بن على ابن حمود الفاطمى، وخرج بالمعزّ بن سقوت حين وضح الفجر فلقيه المعزّ بن أمير المسلمين فطلب منه المال فقال له: «ألخازن أبيك كنت تجمع المال؟» فحلله الحسام. وحكم فيه الحمام، تعالى من لا يردّ قضاؤه ولا تبدأ ولاؤه. انتهى كلام ابن بسام (١) رحمه الله.

قال أبو عبد الله بن أبى المجد: كان من ملوك البربر قيس بن برواتق بن واسينو بن يزار الصنهاجى ملك الصحراء بأسرها وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدّون له الجزية وكان عمله مسيرة شهرين فى مثلها فى عمارة تعتد فى مائة ألف نجيب وكان فى عصر عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ملوك الأندلس وذلك فى المائة الرابعة من الهجرة وفى عصر عبيد الله الشيعى وابنه أبى القاسم ملوك إفريقية وله أخبار كثيرة.

وقال أيضاً: ومن رؤساء البربر جعفر بن فلاح بن أبى مرزوق الكتامى وهو الذى فتح دمشق وفلسطين والأردن وكثيراً من بلاد الشام أيام المعزّ بن إسماعيل الشيعى العبيدى وذلك فى عشرة السبعين والأربعمائة.

ومنهم سقوت البرغواطى وكان سقوت هذا عبداً لشيخ حدّاد اشتراه من سبى برغواطة ثمّ انتقل إلى على بن حمود الادريسى الفاطمى. قال أبو عبد الله محمد بن حمادوه السبتى: اختلف الناس فى سبتة لم سميت سبتة فقال المحققون لأجل انقطاعها فى البحر تقول: سبتّ النعل إذا قطعته.

(١) انظر: صاحب كتاب الذخيرة طبع منه بعض الأجزاء

وقال آخرون إنّ رجلا اسمه سبت من ولد سام بن نوح خرج من المشرق لأسبابٍ عرضت له فتوغل فى المغرب حتى انتهى إلى موضع سبتة فأعجبته فاختطّ فيها موضعاً يعمره وكان صالحاً فدعا لها بالنصر فما رماها بسوء إلا ردّ الله بأسه عليه.

(رجع الكلام إلى حديث يوسف بن تاشفين) وفى سنة ٥٠٠هـ توفى يوسف بن تاشفين وولى ابنه على وبقى ملكاً إلى سنة ٥٣٩هـ فتوفى فى رجب منها شهر رمضان المعظم من سنة ٥٣٩هـ التقى تاشفين بن على بن يوسف مع الخليفة عبد المؤمن بن على بمقربة من تامسان فهزمه عبد المؤمن ابن على وحاصره فى المحرس فاما رأى ما لا طاقة له به أحرق كلّ ما فى محلته من الأمتعة فخرج هو وأصحابه ففرّ كلٌ واحد منهم حيث توجهت به دابته فمنهم من قتل ومنهم من دخل البحر فى قطائع كانت لتاشفين بمرسى وهران عليها القائد محمد بن ميمون وحاف تاشفين برمكته من حافة عظيمة فوجد ميتاً هو وبرمكته وذلك فى ليلة تسمع وعشرين من رمضان المذكور. وفى المحرّم من عام ٥٤٠هـ دخل عبد المؤمن ابن على مكناسة بعد أن دخلها فرارا من تلمسان وفى الحادى عشر من ذى قعدة منه دخل فاساً وكتب الأمان إلى سبتة ثمَّ ملكها بعد ذلك.

وفى يوم السبت الرابع وعشرين من ذى قعدة من العام المذكور دخل عبد المؤمن بن على سلا (*) على الطاعة، وفى يوم السبت الثامن والعشرين من شوّال من عام ٥٤١هـ دخل عبد المؤمن مرّاكش عنوةً وقتل إسحاق بن على يوسف من كان معه من الملثمين وانقضى أمر لمتونة بمقتل إسحاق وكانت دولتهم بالمغرب منذ استولوا عليه إلى حين مهلك إسحاق ابن على تسعاً وسبعين سنة ومدّتهم بجزيرة الأندلس منذ خلمهم لابن

(*) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموى

عباد ثمان وخمسون سنة، ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسيرهم فليطالع كتاب ابن الصيرفى[1] الذى الفه فى دولتهم وسماه بالانوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطين وهو كتاب ممتع مفيد.

وصار الأمر بعد لمتونة للموحدين فملكوا المغربل كله والأندلس بأسرها سوى جزيرة ميورقة فإن المرابطين بقوا فيها إلى مدّة الناصر فملكها الموحدون فى أخبار طويلة فجميع دولة الموحدين مائة عام واثنان وخمسون عاماً أولّها يوم السبت مفتتح عام ٥١٦هـ على أنّ بعض المؤرّخين زعم أنّ بيعة المهدى إنما كانت فى سنة ٥١٥هـ لاكن دولته لم يظهر استقلالها ولا الإعلان بها حتى انسلخ عام ٥١٥هـ. ذكر هذا كله الشيخ العالم الباحث المحقق أبو على بن رشيق فى تأليفه الذى سماه بميزان العمل فى أيام الدول. وآخر دولتهم يوم الجمعة منسلخ سنة ٦٦٧ه لكون أبى دوس قتل يوم الأحد ثانى المحرّ ولله الملك من قبل ومن بعد.

فيما سائلى عن أناس مضوا ※ أما لك فيما مضى معتبر

انتهى التنول فى ذكر ثوّار المغرب وبعض ملوكه يتلوه التنول فى ذكر الفتهاء والأعلام من البربر.

ذكر الفقهاء والأعلام من البربر

أولّهم شيخ قرطبة يحى بن يحيى بن أبى عيسى كثير بن وسلاس بن شملال المصمودى الأصادى دخل جدّه شملال الأندلس مع طارق بن زياد وشهد الفتح وكان إسلام شملال على يدى يزيد بن عامر الليثى وهم ينتمون بالخلف ويحيى بن يحيى أدخل موطأ مالك إلى المغرب وأسنده وتوفى بقرطبة سنة ٢٣٤هـ.

---

(١) انظر ترجمته فى الزركلى

ومنهم محمد بن عبد الله بن يحيى ولى قضاء الجماعة بقرطبة وتوفى سنة ٣٨٩هـ.

ومنهم أبو القاسم بن سقو المكناسى رحل إلى المشرق ولقى عكرمة مولى عبد الله بن عباس وحدّث عنه وقد تقدم ذكره.

ومنهم إلياس المغيلى آخر أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس مع طارق.

ومنهم الفقيه المشاور القاضى الأعدل أبو عبد الله محمد بن أسود ابن شعيب المديونى ولى قضاء القضاة بأفريقية لبنى محمد، ومديون اسم رجل وهو مديون بن فاتن أخو مغيل بن فاتن بن تمزيت بن ضريس.

ومنهم منذر بن سعيد بن عبد الله القاضى البلوطي، وولهاص اسم رجل وهو ولهاص بن يطوفت بن نفزاوبن لوى الكبير بن زحيك بن مادغس بن بر، ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٩٩هـ. ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى مؤلف كتاب الرسالة فى الفقه نفزاوى النسب، ونفزاو اسم رجل وهو نفزاو بن لوى بن زحيك بن مادغس بن برّ، قال أبو بكر عتيق بن خلف التجيبى فى كتابه المترجم بالافتخار فى مناقب فقهاء القيروان: كان أبو محمد عبد الله بن أبى زيد النفزاوى ميزان الرجال وإمام الزمان اجتمعت الأمة على ترصيف تأليفه وتهذيب تصنيفه وجمعه لما افترق من العلوم بتقريب المعانى وحذف الإكثار وإيضاح مذهب مالك إمام دار التنزيل، ومهبط الأمين جبريل، مع إجماعهم على صحة استنباطاته. وحسن بديهته. وحلاوة ردّه. وجزالة معانيه. وجودة فكرته. ورصانة عقلة. وتفننه فى علوم القرآن وعلله. وآثار رسول الله ﷺ وسننه. من العلماء الراسخين. والأمة المقتدى بهم فى الدين، ضربت إليه أكباد الإبل من أقطار الدنيا، وأحد الفقهاء وشيخ الإسلام والسنة، توفى فى شعبان يوم اثنين عند الزوال وصلى عليه غداة الثلاثاء الشيخ أبو الحسن

ابن أبي القابسي في الريحانة في جمع عظيم من الناس أثر سهواء من الليل وكان ومه يوماً مشهوداً رحمة الله عليه وذلك في سنه ٣٨٦هـ.

ومنهم عباس بن ناصح المصمودي الشاعر رحل إلى المشرق ولقي جماعة من العلماء، قال أبو بكر عتيق بن خلف في كتاب الافتخار بمناقب فقهاء القيروان: كان في الأندلس قاض يقال له عباس بن ناصح وكان شاعراً مثلقاً منجماً حاذقاً أقام سبع سنينٍ على القضاء لايقضى حتى يقيم الطالع فما أراه علم النجوم قضى به فتقدَّم إليه رجلان أدَّعى أحدهما على صاحبه أنه سرق له ثوراً من صفته كذا وكذا وأحضرِ شاهدين فدخل القاضي بيته ورفع الطالع ثمّ خرج فقال للطالب: «إنَّ غلامي قد مرّ من وضع كذا فرأى ثوراً من صفته كذا ضالاً في قرية كذا في دار من صفتها كذا فتوجهْ إلى هناك لعلهُ أن يكون ثورك ولعلَّ الرجل بريْ».

اعتقل الشاهدين فتوجه صاحب الثور إلى الموضع فأصاب ثوره كما وصف له القاضي على ما أرأته النجوم فأخذ ثوره وانصرف إلى القاضي قال: هذا ثوري وجدته في الموضع». فأخرج القاضي الشاهدين وضربهما.

ومنهم الفقيه المشاور أبو عبد الله محمد بن خطاب ذكره الرازي في أعلام القبائل.

ومنهم الفقيه المشاور أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي دليم توفي بقرطبة سنة٣٢٨هـ.

ومنهم الأديب الشهير الناظم المجيد أبو محمد بن درَّاج القسطلي.

ومنهم الشيخ أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي البغدادي الوافد على بني أمية في الأندلس ذكره ابن حيان في تأريخه الكبير وقال: توفي سنة ٤٠٤هـ وهو من البربر من مصمودة.

ومنهم الكاتب الناظم الناثر البارع أبو عبد الله بن القاضي الصنهاجي.

ومنهم في صدر الإسلام أبو عمرو ميمون بن أبي جميل الصنهاجي ابن أخت طارق الذي فتح الأندلس، وذكره الرازي في أعلام القبائل.

ومنهم خطيب جامع قرطبة والمقرئ بها أبو محمد عبد الوهاب الصنهاجي.

ومنهم شجرة بن عبد الله المسطاسي ذكره الرازي في أعلام القبائل.

ومنهم الفقيه العالم أبو زكرياء اليجفنشي من قلعة مهدي بن توالي نزيل الإسكندرية.

ومن المتأخرين أبو محمد عبد الجليل بن موسى مؤلف كتاب الشعب والشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الورع أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان الدكالي نزيل أغمات وتوفي بها وقبره مشهور، والفقيه الشهير المفتي أبو عبد الله محمد بن ياسين الرجراجي فقيه المصامدة توفي عام ٦٢٤هـ.

ومن المتأخرين الفقيه المحدث الأتقى أبو الحسن علي بن محمد الكتامي عرف بابن القاضي توفي بسجلماسة وقبرة بها عام ٦٢٨هـ، والفقيه الجليل أبو موسى عيسى بن تلالين الجزولي صاحب الكرّاسة في علم النحو رحل إلى المشرق وركب البحر من بجاية في رجوعه من المشرق ودخل الأندلس وقدم أزمور في مدّة أمير المؤمنين الناصر وتوفي بها ودفن لزيق الشيخ أبي شعيب، وحكي أنه لقي الشيخ أبا شعيب قبل رحلته إلى المشرق فدعا له فظهرت بركة دعاء الشيخ أبي شعيب عليه، والفقيه القاضي أبو الحسن بن سعيد عرف بابن ناسري ولي قضاء تونس.

ومن علماء البربر منذر بن عياش الأوربي ولي القضاء بالأندلس لأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر. وأورب اسم رجل وهو أورب بن برنوس بن برّ.

ومنهم الفقيه الحافظ التأريخي أبو عبد الله محمد بن حمادوه البرنوسي

مؤلف كتاب المقتبس فى أخبار المغرب والأندلس، ذكر العلماء بأنساب البربر، أن البربر فرقتان البرانس والبتر فالبرانس هم بنو بربر بن برنوس بن سفكو بن وانوخ بن خانوخ بن كذا بن فلان بن فلان إلى مازيغ بن كعنان بن حام بن نوح ﷺ فالذين يسمون البرانس، والبربر هم المصامدة وغمارة وأوربة وكتامة وأوريغة وأزداجة وعجيسة وصنهاجة ولمطة وهسكورة وجزولة ومطاسة وهوارة ولكلّ هؤلاء شعوبُ كثيرة وقبائل جمة وبطون وأفخاذ وعمائر غزيرة.

ومنهم الشيخ الفقيه القاضى الأديب المشارك أبو الحسن بن حمادوه الصنهاجى مؤلف كتاب النبذ المحتاجة فى أخبار ملوك صنهاجة ولى قضاء أزمور فى مدة أمير المؤمنين المستنصر وذلك فى سنة ٦١٦هـ.

ومنهم الفقيه الحسيب الحافظ أبو على حسين بن القطان الكتامى مؤلف كتاب نظم الجمان.

ومنهم الأديب الناظر الناثر البارع المتفنن عبد الله الجراوى مؤلف كتاب الحماسة ألفه لأمير المؤمنين المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن، وجراو اسم رجل وهو جراو بن وارسيخ بن الديرية بن جانا بن يحيى بن ضريس وهو جالوت الأول أول الجواليت بن مادغس وهو الأبتر أبو البتر كلهم بن قيس غيلان، وكانت جراوة قد تهودت قبل الإسلام وكانت فيهم ملوك ورؤساء مشاهير ومنهم كانت الكاهنة الملكة واسمها داهية ابنة ثابتة بنت تيتان ملكة أفريقية والمغرب ولها أخبار طويلة وحروب كثيرة وقتلها المسلمون فى دولة عبد الملك بن مروان.

ومنهم الشيخ الصالح الصوفى المفتى المحدّث أبو عمر بن ميمون بن خطاب، رأيت بخطه جواباً لمن سأله عن اسمه ونسبه فقال: أنا ميمون بن على بن عبد الخالق الخطابى وبنو خطاب فى قبائل من المغرب والبربر فبنو خطاب فى صنهاجة وفى هسكورة من ملزوزة وفى ورغة من مكناسة ورغة

وفي غمارة من صنهاجة الريف وفي بني أبي عدّي بالحامة وأنا من الصنهاجيين فهذا النسب حميري يسمى قحطاني، وأما مولدي فبمدينة فاس قاعدة من قواعد المغرب وأكثر قراءتي بها على الجلة الذين لحقت وأكبرهم جدّي من الأم علي بن مهدي القيسي وعن الفقيه الصالح العالم الفاضل أبي الحسن بن حُرزهم وتقول العامة ابن حرزم وصحب ابن دوناس من كبار العلماءبها وقرأت بها على جماعة في هذه الطبقة وقرأت في سبتة على ابن عبيد الله الحجري سمعت الموطا والبخاري وكتاب السنن عليه وقرأت بها الرسالة القشيرية على أبي الصبر وكانت له رحلة إلى المشرق والأندلس ولحقت من الأندلس من لا أحصيه كثرةً وأكبرهم شأناً أبو محمد القرطبي وأبو الحجاج بن الشيخ البلوي وقرأت بالمنكب على الفقيه القاضي ابن سمحون وكان عالي الرواية يحمل عن الحافظ أبي بكر ابن العربي وعن ابن ننيس عن الطبري بالحرام شرّفه الله ولحقت من أصحاب شريح المقرئ ثلاثة أبا نصر التلمساني وابن حسون ببياسة وابن المؤذن بمالقة وأجازوني وفي غرناطة جماعة من أقران أبي ابن كوثر ومن أصحابه وفي مرسية جماعة وبها تمت قراءتي على الفقيه القاضي أبي محمد حوط الله مدة كونه قاضيا بها وقرأت بشاطبة على الحافظ أبي عمر ابن عات رحمه الله ولحقت بوادي آش الحافظ ابن عمر شارح الموطأ بأحسن شرح رئي وفي أشبيلية لحقت بها المتأخرين أبا الحسن بن زرقون ونظرائه وفيها قرأت على أبي الخطاب بن واجب من أهل بلنسية وكان من أهل الرواية والفضيلة، وكتب لي أبو عبد الله بن نوح من بلنسية وسمعت بمالقة خمسة أجزاء من تواليف أبي الربيع الكلاعي على أبي الربيع المذكور وكنت سمعت بها فساقه الله وساقها إليَّ وقرب القصد عليَّ وقرأت بشلب عن أبي فاروق الشارح قصيدة ابن عبدون ما من ليال ولحقت بها ابن عمر أحد الرواة بها وقرأت في طبيرة على صاحبي الحافظ ابن خلفون، وأما من

لقيت وقرأت عليه من علماء الأدب وأئمة اللغة والشعر والنحو ومن العلماء بطريق الآخرة أعنى المتصوفة ممن لا أحصيه كثرةً وأما سنى فما أضبط تأريخه لكنى أعلم أنى فى السبعين حقيقة والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ومنهم الشيخ الفقيه الراوية المحدّث أبو يعقوب الشهير بالحسانى وبنو حسان فخذ من غمارة وهو من أشياخ شيخنا الفقيه العالم المدرّس أبى محمد عبد الله بن الشيخ الفقيه الشهير الصالح العالم أبى العباس أحمد ابن عبد العزيز البرغواطى الزمورى.

ومنهم الشيخ الفقيه الأديب الناظم الناثر أبو زيد الفزازى كاتب الخلافة المأمونية، وأهل فزاز فخذ من زناتة، توفى يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى قعدة عام ٦٢٧هـ.

ومنهم الشيخ النقيه الصالح القاضى العدل أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفزازى ولى أنفا فى دولة المرتضى وتوفى بعيد النظر وقبره مشهور بها عند الباب القبلى من الجامع الكبير.

ومنهم الشيخ النقيه الحافظ المحدّث الأنقى أبو على الحسن بن على بن حسون الماجرى الكنيف نزيل أسفى وبها توفى وله تأليف سماه الترجيح والتنقيح فى الناسخ والمنسوخ.

ومنهم الفقيه النبيه الحافظ المدّرس المقرئ أبو يحيى زكرياء بن الشيخ الجليل الصدر الكبير الحاجّ الأنير الصوفى المحقق القدوة أبى زكرياء يحيى ابن أبى عمرو بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حماد نزيل توغرا من بلاد حاجة توفى بفاس وقبره بها مشهور فى العصر الأوّل من المائة الثامنة.

ومنهم الشيخ النقيه الصالح العالم الورع أبو العباس حميد بن قاسم الحاجى نزيل قرية لماتى توفى بها عام ٧١٢هـ.

ومنهم الشيخ الفقيه الشهير الحسيب أبو عبد الله بن الشيخ الفقيه الصالح القدوة أبي علي عمر بن مخلد الدكالي نزيل تاوريرت أن تازارت.

ومنهم الشيخان الفقيهان الشهيران أحمد ومنصور الصنهاجيان نزيلا وبمازيغين من ساحل صنهاجة رحلا إلى قرطبة وأقاما بها مدةً يدرّسان العلم ثمّ رجعا إلى بلدهما وتوفيا بها رحمتهما الله.

ومنهم الشيخ النقيه الحافظ شارح التلقين أبو بكر النحوري الزموري وهو من قبيلة بني نول فخذ من زناتة بحوز تلمسان.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح المعمر المدرّس المقرئ أبو زيد عبد الرحمن ابن الصنهاجي نزيل كيمران توفي في شعبان سنة ٧١٢هـ.

ومنهم الشيخ الفقيه العدل أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن علي الحنوي لحق الشيخ أبا العباس الملياني وحضر مجلسه توفي ببلده يكنى إلى الحنة وهو أكبر أولاد صنهاج بن يصوكان بن ميسور ونسب صنهاج يرتفع إلى يعرب بن قحطان ذكر ذلك الطبري وأنكر غيره من أهل العلم بالانساب.

وممن اشتهر بالطلب واتسم بسيمة الأدب أبو الزبير طلحة بن الزبير بن سليمان بن تميم الحاجي توفي في دولة المرتضى ولكيفية موته خبر غريب وله تأليف سماه الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ، إنما هو من تآليف أبي علي الكنيف الماجري رواه عنه طلحة بن الزبير.

ومن كبار علماء البربر الشيخ الفقيه الصالح أبو محمد واجاج بن زلو اللمطي من أهل السوس الأقصى رحل إلى القيروان وقرأ بها على الشيخ أبي عمران الناسي ورجع إلى السوس وبنى داراً لطلبة العلم وهو شيخ عبد الله بن ياسين وهما أعني واجاج وعبد الله بن ياسين كانا السبب في

خروج الملثمين المعروفين بالمرابطين من الصحراء بأمر الفقيه أبى عمران الفاسى فى خبر طويل.

ومن مشاهير علماء البربر أبو موسى عيسى بن سليمان الرفروفى من بلاد تادلاً رحل إلى المشرق وقرأ هناك على الشامى والطرطوشى وكان متفرّغاً لتعليم العلم ما تزوّج قطُ إلا عازباً هكذا عند أبى يعقوب التادلى فى كتاب التشوّف له وكذلك حكى عن الشيخ أبى إبراهيم بن واجانات أنه كان من كبار أهل العلم لكنه لم يتفرّغ لتعليم لغلبة احوال المشاهدة عليه وأبو إبراهيم هذا هو المنسوب لأدار.

ومن علماء البربر أبو على سالم بن سلامة السوسى أصله من تاردانت ودرّس الفقه بفاس وكان رجلاً صالحاً توفى عام ٥٨٩هـ.

ومنهم الفقيه أبو على يغمور بن خالد البرزخى كان مدرّساً للفقه.

ومن أعلام علماء البربر أبو عمر عثمان السلالجى إمام أهل المغرب فى علم الاعتقاد توفى عام ٥٦٤هـ.

ومنهم الشيخ الصوفى العباس بن العريف الصنهاجى الطنجى صاحب كتاب محاسن المجالس توفى سنة ٥٣٦هـ ذكره التادلى.

ومنهم الشيخ الصالح أبو على المنصور المسطاسى الزمورى سمعت حفيده أبا يعقوب المسطاسى يقول عنه أنه قرأ بقرطبة ولقى بها جماعة من العلماء توفى بأزمور وقبره مشهور بها سنة ٥٤٠هـ ذكره التادلى.

ومنهم أبو محمد يسكر الجراوى توفى عام ٥٨٠هـ.

ومن أعلام علماء البربر عبد الله بن محمد بن على الفندلاوى كان أحد أيمة أهل المغرب فيما أخذ عن أبى عمرو الأصولى من علوم الاعتقاد توفى عام ٥٩٨ هـ.

ومنهم أبو زكرياء يحيى بن على الزواوى رحل إلى المشرق وأخذ هنالك عن العلماء وتوفى بحوز بجاية سنة ٦١١هـ وزواو اسم رجل

وهو زواو بن سمجان بن يحى بن تمزيت بن ضريس أخي جانا بن يحيى أبي زناتة.

ومنهم الشيخ الفقية المفتى أبو عبد الله محمد بن محوت الصنهاجي.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح أبو مروان عبد الملك بن محمد بن إسحاق الكتامى رحل إلى سبتة وقرأ بها على الشيخ أبى الحسن المثيوى وتوفى بازمور سنة ٦٩٣هـ.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم العلم الشهير أبو الحسن المثيوى نزيل سبتة وبها توفى. ومثيوة قبيل من قبائل غمارة، وغمار اسم رجل وهو غمار ابن مصمود لصلبه في قول كثير من أهل العلم بالأنساب وقيل هو غمار ابن مسطاف بن قليل بن مصمود وقيل فيهم إنهم عرب وإنهم غمروا فى تلك الجبال فسموا غمارة والله أعلم.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم المحدّث أبو علي عمر بن موسى الهوارى نزيل أزمور وبها توفى، ذكر العلماء بالأنساب أنّ هوارة من حمير وقيل إنهم من ولد أوريغ بن برنوس من البرانس والأشهر أنهم يمانيون وأنهم من ولد المسور بن السكاسك وأنّ المسور هذا وقع إلى البربر وصاهرهم فى خبر طويل جداً وإنما هو هوارة لأنّ أباهم المسور لما جال البلاد ووقع بالمغرب قال: لقد تهوّرنا البلاد والله أعلم بالحقيقة.

ومنهم الشيخ أبو عبد الله البوغاغى وله كتاب منار العلم.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع القدوة أبو محمد صالح الهكورى نزيل فاس وبها توفى.

ومن أهل العصر الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع القدوه الصدر الكبير العلم الشهير أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز البرغواطى نزيل أزمور وبها توفى فى شهر رمضان عام ٦٨٨هـ.

ومنهم الشيخ الفقى العالم العلم القاضى الأوحد الشهير بالورع المعروف عند جميع الناس بالعدل والفضل قاضى الجماعة أبو زكرياء يحيى بن حيون نزيل أنفا وتوفى بمراكش.

ومنهم الفقية الصالح الزكى أبو عمران المطماطى، ومطماط اسم رجل وهو مطماط بن فاتن بن تمزيت بن ضريس بن فاتن بن عمّ جانا بن يحيى ابن تمزيت وأخو مطماط مغيل بن فاتن أبو مغيلة ومطفر بن فاتن أبو مطغرة وصدين بن فاتن أبو صدينة ومديونة.

ومنهم الشيخ الفقيه العالم الحسيب الشهير الحافظ الصالح الأوحد أو زكرياء يحيى بن محمد بن أبى محمد صالح بن ينصارن نزيل أسفى وبها وفى صحوة يوم السبت العاشر من شوال عام ٦٨٧هـ.

ومنهم الشيخ الفقيه الحاجّ الزاهد الورع الناسك القدوة أبو يعقوب يوسف بن تغورايت الحاجى أقام بمدينة الرسول ﷺ مدّة ولقى بها جماعة من أهل العلم وتوفى ببلاد حاحة فى عشرة الثمانين وستمائة.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح الحاجّ أبو يخلف حمامة بن محمد الماجرى نزيل أزمور وبها توفى.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح الشهير الكرامات الكبير المقامات أبو محمد عبد الواحد بن عبد الرحيم التامزيتى من عمل أزمور وبها توفى فى عشرة الستين وستمائة.

ومنهم الشيخ الفقية الحاجّ الصالح الراوية أبو الربيع بن جابر الدكالى توفى فى العشر الأول من المائة السابعة.

ومنهم الفقيه القاضى العدل الأورع أبو على بن أبى العباس أحمد بن سلكو الدكالى.

ومنهم الشيخ الفقيه المشاور المفتى المقرئ المدرس أبو إبراهيم عبد الواسع بن عبد السلام الصنهاجي نزيل أزمور وبها توفى في شهر ذى القعدة من عام ٦٦٧هـ.

ومنهم الشيخ الفقيه البارع الأديب المتفنن أبو إسحاق إبراهيم بن مناد البرغواطى نزيل أنفا وتوفى بسبتة فى عشرة السبعين وستمائة، وقد تقدم نسب برغواطة.

ومنهم الشيخ الفقيه المفتى الصالح القدوة المدرّس أبو فارس عبد العزيز ابن تلايل الشهير بالجزولى نزيل أزمور وتوفى بها فى عشرة الثمانين وستمائة.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم العلم الطاهر الورع أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد الواسع الصنهاجى خطيب أزمور وبها توفى.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح المدرّس المذكور أبو عمران موسى بن أبى على الزناتى الزمورى المولد والمنشأ نزيل مراكش وبها توفى فى العشر الأول من المائة الثامنة.

ومنهم الشيخ الفقيه العالم أبو عبد الله الصنهاجى نزيل أغمات وريكة.

ومنهم الفقيه الشهير الحافظ المجتهد المدرّس شهاب الدين الصنهاجى القرافى نزيل مصر.

ومنهم الشيخ الفقيه الجليل الصالح الورع أبو محمد عبد الله بن أبى على الومغارى نزيل عين الفطر ذو الحسب العالى والنسب الحالى. وشهرة سلفه بالدين والورع والطهارة والعلم أشهر من أن يشار إليه أو ينبه عليه وهم فى ذلك كبار على علم وقد ذكرهم الشيخ الفقيه الجليل الصالح المحدّث الأنقى أبو يعقوب التادلى فى كتاب التشوّف له وأطنب فى وصفهم بالدين والورع ورأيت أنا كتاباً من أمير المسلمين على بن يوسف

ابن تاشفين إليهم مؤرخا فى السابع والعشرين وخمسمائة يلتمس منهم الدعاء ويعرفهم بأنّ له فيهم حسن الظنّ والرجاء، العلامة فى هذ الكتاب الحمد لله فوق السطر الأوّل وعن يمين البسملة: بنى الحسب الوضاح والشرف السامى إن لم أرث ولدكم خصم وخاتمة هذه الجملة العلمية والطبقة العالية.

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التأريخى أبو على صالح بن الشيخ الصالح الولى الزاهد الورع أبى صالح عبد الحليم نزيل نفيس وهو يعيش إلى وقتنا هذا وهو سنة ٧١٢هـ وقد جمع الله له بين العلم والعبادة، وخصه بالفضل والديانة، اشتهر بالعفاف، واقتصر من الدنيا على الكفاف، مع الانقباض عن أهل الدنيا، والحلول والورع فى الدرجة العليا، إلى مايميز به من الكرم والسخاء، والطهارة والتقى، وتلك أوصاف السلف الصالح رضى الله عنهم.

ولولا أن يظنّ بنا غلوا لزدنا فى المقال من استزاد

وقد سألته عن قبيلته فذكر لى أنه إيلانى النسب وإيلان اسم رجل وهو إيلا بن مصمود أبو ايلانة ابن مازيغ بن تميلا بن كنعان بن نوح ﷺ.

قال أبو عبد الله بن أبى المجد فى كتاب الأنساب له: إيلان بن مصمود أبو إيلانة من المصامدة وقيل هو إيلان بن برٍ بن قيس غبلان وأنهم عرب صريحون وأن إيلان خلاف المصامدة وانتسب إليهم وصاهرهم فكثر ولده فيهم فهم إيلانة أكثر المصامدة عدداً، وقال أيضاً: القبائل التى تسمى المصامدة حاحة ورجراجة ووريكة وهزميرة وجدميوة وهنفيسة وهزرجة ودكالة وهنتانة وبنو ماغوس وتحلاوة وقبائل لا تحصى كثرة وعدداً وبلادهم غير منتصلة وهم بجبل درن وحوله وبلاد سوس وما يليه وكان فيه ملوك

قبل الإسلام وفى الإسلام ورؤساء مشاهير وفرسان وشجعان، وأعلام القبائل التى تسمى البتر من البربر هم زواغة وزناتة وزواوة ونفزة ولواتة ومزاتة ونفوسة ومغيلة ومطماطة ومطغرة ومديونة وصدينة ولكلّ هؤلاء شعوب وقبائل كثيرة وبطون وأفخاذ وعمائر لا تحصى نسبوا إلى جدّهم الأبتر وهو ما دغس بن بركان يلقب بالأبتر، انتهى ما حضر ذكره من أعلام البربر والذى أغفلت أكثر من الذى ذكرت. وقد كان فى أغمات قديماً من علماء البربر ما يفوت الحصر ولا يحويه العدّ وهذا باب لا يطمع فى استيفائه ولا سبيل إلى الإحاطة به، وقد سمعت الشيخ الفقيه قاضى الجماعة العالم الراوية المحدّث الباحث المحقق أبا عبد الله بن عبد الملك رحمه الله يقول: كان بفاس من الفقهاء الأعلام الأجلة أعيان الأنام ما ليس فى غيرها من بلدان الإسلام إذ هى قاعدة المغرب ودار العلم والأدب لكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم وأغفلوا تخليد مناخر فقهائهم.

فصل

وتنبأ من البربر بعد صالح بن طريف اثنان عاصم بن جهل اليزداجومى وحاميم بن منّ الله الملقب بالمفترى ادعى النبوة ببلاد غمارة سنة ٣١٠هـ وشرع ديانة تشبه ديانة برغواطة فى الضلالة والكفر وفى صلاتان صلاة عند شروق الشمس وأخرى عند غروبها وفرّض صوم يوم الاثنين والخميس وعشرة أيام من رمضان وأحلّ لهم أكل الأنثى من الخنازير وقال: «إنما حرّم فى قرآن محمد الذكر!» وجعل الحوت لا يؤكل إلا بذكاة وحرّم رأس كلّ حيوان ونحو هذا من الضلالة والكفر فبعث إليه أمير المؤمنين الناصر الأموى من قرطبة عسكراً ضخماً فالتقوا معه فى قصر مصمودة بمقربة من طنجة فقتل ورجع أصحابه للإسلام، انتهى القول فى أخبار البربر وما تعلق بها من أنسابهم وأعلامهم والحمد لله.

وأما الأولياء والصلحاء والعباد والأتقياء والزهاد النساك الأصفياء فقد كان فى البربر منهم ما يوفى على عدد الحصى والإحصاء، وقد ألف الشيخ

الفقيه العالم الصالح الشهير أبو العباس العزفى نزيل سبتة فى كرامة الشيخ أبى يعزى ما هو مشهور عند الناس وكتاب الشيخ الفقيه الراوية المحدث أبى يعقوب التادلى رحمه الله شافياً وكافياً فى أخبار صلحاء المغرب ولو لم يكن فى المغرب سوى الشيخ الجليل الصوفى المحقق شيخ المشايخ وقدوة الأولياء وفخر الأتقياء وإمام الأصفياء أبى محمد صالح بن ينصارن ابن عفيان الماجرى نزيل أسفى لكفى أهل المغرب شرفاً وفخراً فكيف والمغرب مشحون بأمثاله وأقرانه ومملؤ بأشباهه ونظرائه نفع الله بمحبتهم وأفاض علينا من بركاتهم!

ذكر البربر بجزيرة الأندلس

قال الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة[1] له:

ذكر العلماء بالأنساب أن البربر من ولد حام بن نوح ﷺ وادعت طوائف منهم أنهم من اليمن ومن حمير وبعضهم ينسب إلى بر بن قيس غيلان وهذا كله باطل لا شك فيه وما علم النسابون لقيس غيلان ابناً اسمه بر اصلا ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا فى تكاذيب مؤرخ اليمن، هذا نص كلامه والله أعلم.

قال أيضاً: كان فى الأندلس ببتوتات من البربر من صنهاجة كان منهم فى الأندلس بنو لقيظ فقهاء وكتاب وأدباء، وبنو دراج القسطلى، وبنو عبد الوهاب كانت لهم ثروة وعدد وكان منهم قواد وكتاب وفقهاء وأدباء وقد انقرضوا فما بقى منهم إلا رجل واحد هو اليوم خطيب جامع قرطبة والمقرئ بها اسمه عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس رحل إلى المشرق ولقى جماعة من أهل لعلم وأخذ عنهم وحج بيت الله الحرام، ومن صنهاجة يحيى بن ضريس من بنى حير الفارس المشهور الذى صدم ابن

(١) صدر هذا الكتاب بتحقيق عبد السلام هارون- طبعة دار المعارف القاهرة.

حفصون وعطل يده بالضربة المشهورة فلم يأكل ابن حفصون بيده حتى مات وعاش بعد الضربة ثلاثين عاماً، ومن صنهاجة ثابت بن ورزيدان الأمير وعبد الملك بن سكن وبدّر بن ميمون بن على وزراء الناصر وإبراهيم بن العلاء الكاتب المشهور من أهل قرطبة وجماعة كثيرة لا تحصى.

زناتة- كان منهم بالأندلس بنو الخروبى وبنو الليث وبنو يفرن وبنو برزال وبنو دمر وبنو خزر منهم محمد بن الخير بن خزر المغراوى أمير بن أمير إلى خزر وكان محمد رئيس زناتة كلهم بالأندلس فى الفتنة البربرية فى حدود الأربعمائة من الهجرة.

مكناسة- منهم الوزير ابن سليمان بن وانسوس المكناسى أمير الثغر بوادى الحجارة.

مديونة- منهم كان ثابت بن عامر المديونى الأمير المشهور بالأندلس.

مغيلة- منهم أحمد بن محمد بن إلياس المغيلى الوزير القائد ولى الولايات الجليلة لعبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين وكان جده إلياس أحد أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس مع طارق فى الفتح الأولّ.

ملزوزة- منهم أبو عوسجة أسلم جدهم بين يدى الوليد بن عبد الملك.

بنو رزين- كان منهم أمراء بلاد السهلة وكانت لهم ثروة وعدد وبقى الآن منهم بقية صالحة.

ولهاصة- منهم القاضى منذر بن سعيد وقد تقدّم ذكره، ومنهم بنو الخليج الذين كانوا بتاكرنا وبنو الرجال الذين بقرطبة.

نفزة- كان فيهم فقهاء وقضاة بقرطبة.

بنو غزلون- كان منهم أمراء بشاطبة.

بنو نعمان- كان فيهم رؤساء بشنت برية.

هوارة ـ منهم مسروق بن الأصبغ كان من وجوه أهل سرقسطة وأميراً بها، ومنهم القراطى جيراننا فى الجانب الغربى وقد انقرضوا وبادوا.

بنو قرقير ـ كانت فيهم أمراء وفقهاء وكانت لهم عدد وثروة وبقى اليوم منهم بقية قليلة.

مصمودة ـ منهم كان محمود بن عبد الجبار الثائر بمدينة ماردة أيام بنى أمية، ومنهم سفيان بن عبد ربه المصمودى وزير بنى أمية وقد بادوا وانقرضوا فما أعلم لهم اليوم بقية.

بنو يحيى بن يحيى صاحب مالك بن أنس كانت لهم ثروة وعدد وقد بقى اليوم منهم بقرطبة بقية يسيرة.

بنو طريف ـ أمراء أشونة منهم كان صالح بن طريف الذى كان تنبأ ببرغواطة فاتبعوه على دينه، ومنهم بنو سالم الذى تنسب إليه مدينة سالم.

أوربة- منهم صيدون بن وكيل الأوربى ولى الولايات الجليلة لأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر.

كتامة- كان منهم بالأندلس جماعة كبيرة أمراء ورؤساءوقوّاد، انتهى كلام أبى محمد بن حزم.

ذكر ولاة لمتونة بالأندلس

قال أبو مروان عبد الملك بن موسى بن عبد الملك الوراق فى تأريخه:

ولاة قرطبة- أول من وليها منهم أبو محمد مزدلى بن سلنكان، القائد أبو محمد تاشفين بن سليمان، القائد بن عبد الله بن الحاجّ، القائد أبو عبد الله محمد عرف بابن أبى رنق، الأمير أبو محمد عبد الله بن مزدلى، القائد أبو عبد الله بن نونان، الأمير أبو زكرياء يحيى بن تاشفين، القائد أبو عبد الله عرف بابن عوادة، الأمير أبو محمد عبد الله بن جنونة.

ولاة أشبيلية - منهم الأمير سير بن أبـى بكر هو الذى دخلها على محمد بن عباد، ووليها بعد موته ابنه يحيى بـن سير، ثـم الأمير يوسف بن تاشفين، ثم القـائد أبو مـحمد عـبد الله بن فـاطمـة، ثم الأميـر إبراهيـم بن يوسـف بن تاشفين، ثم القائد أبو حفص عمر، ثم الأمير عبد الله بن أبى بكر بن جنونة، ثم الأميـر أبو زكرياء يحـيى بن على بـن مجوز، ثم الـقائد أبو يعـقوب بن على، ثم الأميـر أبو بكر بن على بن يـوسف، ثم الأمير أبو زكريا يـحيى بن إسحاق عرف بانجمار، ثم أبو بكر بن مزدلى، ثم الأمير عرف باسنجور، ثم القائد طلحة بن.العنبر استعمله علـيها يحيى بن غانية، ثمّ المنصور بن محمد بن الحاج استعمله عليها يحيى بن غانـية ثم عزله واستعمل عليها عثمان بن عمر ومن يده انتزعت.

ولاة غرناطة- أولّهم أبو محمد عبد العـزيز بن سليمان، ثم الأمير يحيى بن واسـينو، ثـم الأمير مـزدلى بن سلـنكان، ثـم الأمير عـلى بن الحـاج ابن محجوز، ثم الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين، ثم الأمير عبد الله بن مزدلى، ثم الأمير أبـو بكر بن على بن يوسـف، ثم أخوه الأمير تاشفين بـن على بن يوسف، ثم الزبير بن عمر، ثم سير بن الحاج.

ولاة مرسـية- مـنهم القائد أبو عـبد الله محمد بن تاشفين، ثـم الأمير أبو بكر بن تيـنلويت، ثم القائد أبو عـبد الله ينتان بن على، ثـم أبو عبد الله يدّر ابن ورفاء، ثم إبراهيم بن تاعياشت، ثم أبو زكرياء يحيى بن غانية.

ولاة بلنسية، أول من ولـيها الأمير مزدلى بن سلنكان، ثـم القائد عبد الله ابن فـاطمة، ثـم الأمير علـى بن مجـوز، ثم القـائد أبو عبـد الله محمـد ابن الحاج، ثم الأمير أبـو بكر بن إبراهيم بن تـينلوت، ثم الأمير أبو الـطاهر بن تميم يوسف، ثـمّ الأمير إبراهيم بن تاعـياشت، ثم القائد أبو زكـرياء يحيى

ابن تاسورة، ثمَّ القائد بدَّر بن ورقاء، ثم القائد أبو يعقوب بن ينتان بن علي، ثمَّ القائد أبو زكرياء يحيى بن علي.

ولاة سرقسطة- منهم بعد بني هود القائد أبو عبد الله محمد بن الحاجّ، ثم الأمير أبو بكر بن إبراهيم بن تينلويت وهو آخر من وليها منهم، وبقى ذكر ولاتهم للجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة وتلمسان، فسبحان الوارث للأرض ومن عليها وهو خير الوارثين(*).

(*) هذا آخر المطبوع والمخطوطة.

الفهرس

رقم الايداع: ٨٠٠٣ / ١٩٩٨
الـتـرقيـم الدولى: I.S.B N 1- 16 - 5684 - 977

